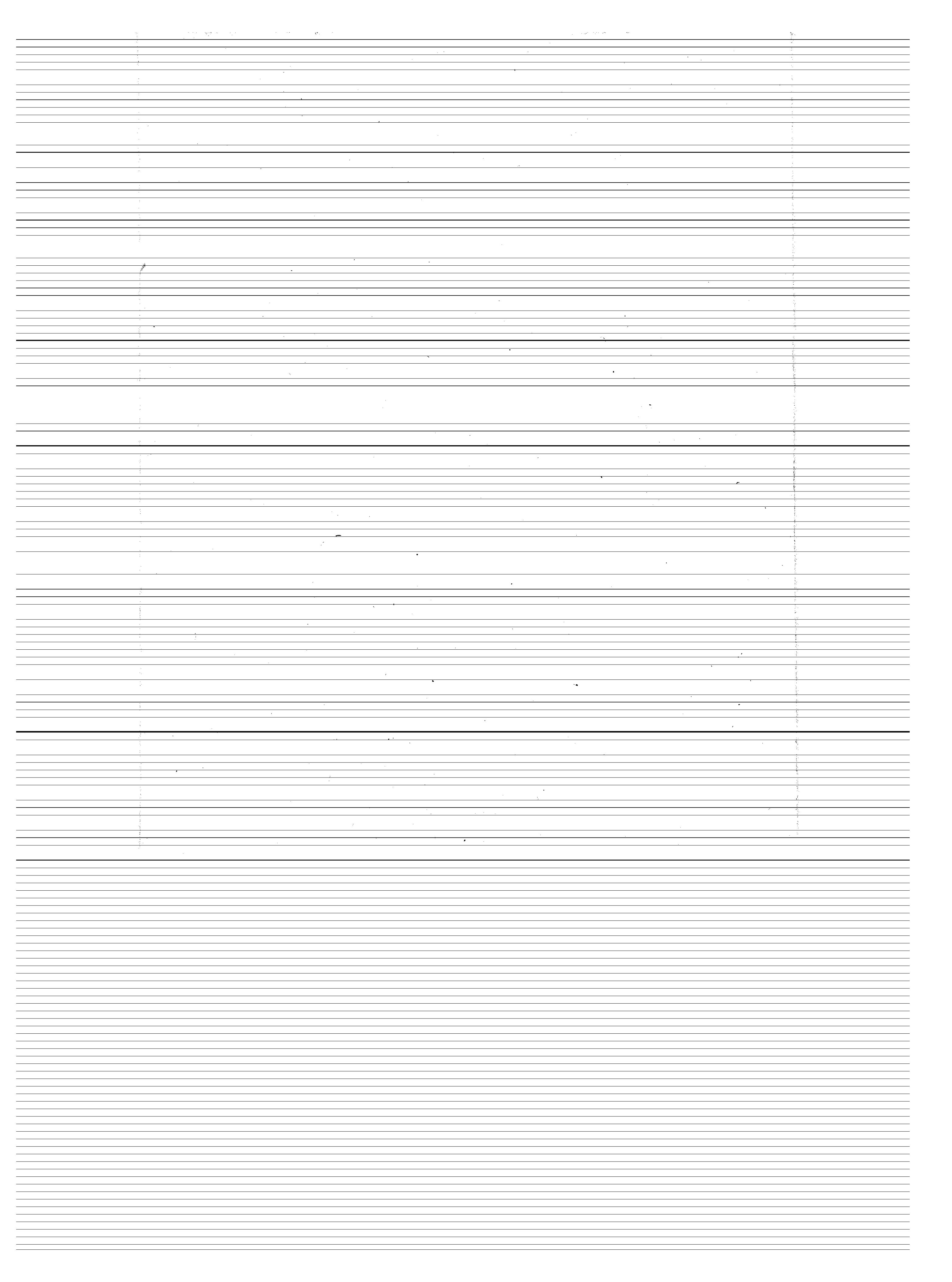
الدكتور
سامي عفيفي حجازي

مدخل
لدراسة أدب البحث والمناظرة

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ — ١٩٩٦ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

وبعـــد . . .

فإن لكل علم من العلوم تعريفاً له يحدده ويدل عليه ولذا فلا يطلق عليه علم إلا إذا اشتمل على قواعد وأسس يعرف بها ويتميز بها عن غيره.

وعلم أدب البحث والمناظرة كواحد من هذه العلوم لم يخل من ذلك بل حدد تعريفه وموضوعه ... ولذا ينبغي الإلمام بهذه الأسس وتلك القواعد التي بني عليها ، والوقوف على قواعد وضوابط المعرفة الصحيحة من جانب وتبديد ظلمات المادية الجاهلية وتصوراتها من جانب آخر .

كما بين هذه وتلك كتاب الله وسنة رسوله — ﷺ — ومن عجيب الموافقات أن تكون ضوابط المعرفة في القرآن الكريم هي أول ما نزل إنها موجودة في قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم ، الإنسان ما لم يعلم ، ثم تأتي تتمتها في قوله تعالى إثر ذلك :

« كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى »(1).

---

(1) سورة العلق .

وبيان ذلك أن هذه الآيات تقول للإنسان فى كل زمان ومكان ،

لقد جاء القرآن الكريم حاملا المنهج الذى يخلص البشرية من عناء البحث والفكر ، والتماس الحقيقة لكثرة ما دار حولها من خلاف ، حيث واجه أقواماً ينكرون وأقواماً يشركون وأقواماً يدينون بإنحراف ، وأقواماً يلحدون ، وأفراداً نادرين يوحدون ، لكل هذا كان حمل القرآن الكريم لبيان ضوابط المعرفة وأصول البحث والمناظرة فى براهينه وأدلته التى اشتمل عليها وساقها لهداية المخالفين ، الكافرين ، وإلزام المعاندين وتثبيت يقين المؤمنين .[1]

وعلى هذا يتضح أن الجدل ظاهرة إنسانية ، لأن النفس البشرية مجبولة على حب الدفاع عنها وتقرير مطالبها وإيضاح أبعاد مقاصدها حتى فى مواقف القيامة فإنها لا تتخلى عن هذه النزعة البيانية الإنسانية كما فى قوله تعالى : « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها »[2] .

وكما ورد فى قول الرسول ﷺ « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله »[3] .

إن هذه النزعات البيانية تتفاعل مع بعضها البعض تبعاً لتفاوت العقول واختلاف الآراء والأفكار والنحل والأذواق ، مما يكون ذا أثر فعال فيما يجرى بين بنى البشر من مجادلات

---

(١) راجع الإمام ابن حزم الأحكام فى أصول الأحكام المجلد الأول ص ١٨ ط الثانية ١٩٨٣ م .

(٢) سورة النحل الآية ١١١

(٣) سنن الترمذى ج٤ ص٣٩ ورواه الترمذى .

ومناظرات ، ولذا فالجدل يعود بمعناه العام إلى نزعة البيان والإفصاح المودعة فطرياً في الخلق وهو عبارة عما يجيش في النفس من تأثرات وأحاسيس لإظهار مبدأ أو نصرة حق أو تصحيح خطأ أو توجيه مفهوم مما جبلت عليه النفوس البشرية ومع كل هذا فقد يراد بالجدل الاسترشاد ومناصرة الحق والوصول إليه وقد يراد به الباطل أو ما يفضى إليه .

ولهذا تكفل القرآن الكريم بالكشف والبيان لكل هذا فى الجانب الإيجابي والجانب السلبي الذى هو حديث للإنسان أو عن الإنسان وهذا يوقفنا على أن ضوابط المعرفة لا يعثر عليها فى أعماق النفس البشرية ذاتيا ، وإنما تأتى باجتهاد تمثله كلمة « اقرأ » .

وهذا البيان يفيد أن معارفنا الإدراكية بل والحسية تأتى إلينا من من خلال إرادة إلهية وتدبير إلهى ، حيث إن هذا الاجتهاد لا يقوم به الإنسان مستقلا وإنما يقوم به باسم الله . الذى خلق والذى علم .

ولذا فمما لا جدال فيه أن تراث الإنسانية بما يتضمن من قواعد وأسس نجد سندها الأكمل فى القرآن الكريم والسنة المطهرة المذكرة التفصيلية له والقائم على بناء الفطرة .

ومن هنا يتضح أهمية الوقوف على ضوابط للمعرفة وأصول البحث والمناظرة لتأخذ بيد المسلم إلى الطريق السليم الذى رسم منهجه وحى الله — تبارك وتعالى — لبناء اليقين فى نفوس المكلفين من جانب والتمكين لهم بالرد على الخرافات والشبه والشائعات من جانب آخر كما فعل الإمام الغزالى — على سبيل المثال — حين ألف كتابه تهافت الفلاسفة نقضاً وإبطالا لما روجه الفلاسفة من الدعاوى التى لا تتفق مع بناء الدين .

وهذه مداخل حول « أدب البحث والمناظرة » وضعتها قصد التيسير

على طريق العلم والمعرفة مأخوذة من الرسالة الرشيدية مع تصرف ، وقد أدخلت فيها إلى جانب وضوح العبارة سهولة اللفظ حتى تكون في مستوى تناول الباحث والدارس لقضايا العلم والمعرفة وأدعو الله تعالى أن ينفعني والمسلمين بها وبأصلها دنيا وأخرى إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً » .

د : سامي حجازي

حول أدب البحث والمناظرة

الأدب كما قال صاحب كتاب التعريفات عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ[1].

أى أن لفظ الأدب يعبر به عن اكتمال الصفات اللازمة والأسلوب الأمثل والأقوم لتناول عمل ما .. أو أدائه وهذا هو معنى الأدب كما جاء فى لسان العرب .

الأدب : «الظرف وحسن التناول[2]» .

فالظرف يقابل هذا الكمال الخلقى وحسن التناول يقابل التزام الأسلوب الأمثل فى الأداء .

ومعرفة الأخلاق الكاملة وهيئة السلوك المثلى فى الأداء تدخل فى مفهوم العلم — ولذا استعملت مادة أدب فى معنى العلم والتعليم فيقال أدبه بمعنى علمه ... وهذا كان هو معنى قول أبى زيد الأنصارى وهو أحد أئمة اللغة ... الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان فى فضيلة من الفضائل[3].

حيث إن الرياضة تعنى التعلم وإن كانت منصبة على السلوك العملى والتخرج فى أمر لعلمه وتحصيل الدربة فيه .

---

(١) السيد الشريف الجرجانى كتاب التعريفات ص ١٥ ط الأولى بيروت ١٩٨٣ م .

(٢) ابن منظور لسان العرب جـ ١ ص ٤٣ ط دار المعارف بمصر.

(٣) المصباح المنير مادة أدب .

وهذا نفسه ماذكره تاج العروس عن الأدب وأنه استعمال مايحمد قولا وفعلا — والأخذ أو الوقوف مع المستحسنات ، ومن استعمال الأدب فى العلم والتعليم ماجاء فى الحديث الشريف . . «إن هذا القران مأدبة الله»[1].

وأيضاً . . «إن أدب الله القرآن الكريم»[2] .

وكذلك قوله ﷺ «أدبنى ربى فأحسن تأديبى»[3] .

ولذا قال سهل التسترى أربعة فيها كمال الأدب التوبة ومنع النفس من الشهوات والصمت والخلوة ، ومن لم يؤدب نفسه فى هذه الداراستوجب العذاب فى الآخرة[4] .

والبحث كما فى لسان العرب معناه فحص ظاهر الأرض ونحوها أخذا من قولهم البحوث من الإبل التى صارت بحثت التراب بأيديها أخرا . أى ترى إلى خلفها ومصداق هـــذا قول الله تعالى فى سورة المائدة «فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه[5]»

أى يزيل التراب ويحفر الأرض لينشىء حفرة لهذا الغرض .

ومن انكشاف ما كان مستترا تحت الظاهر أو السطح بإزالتـــه

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى جـ١ ص٣٧ ط١٩٣٦ .
(٢) المرجع السابق وراجع فضائل القرآن للدارمى .
(٣) الجامع الصغير .
(٤) سهل بن عبد الله التسترى المعارضة والرد تحقيق د/كمال جعفر ص ٩٠ ط١٩٨١ م .
(٥) سورة المائدة جزء من الآية ٣١ .

استعملت مادة بحث فى التفتيش والتنقيب طلبا للمعلومات المستترة وهذا هو المقصود بالبحث هنا أى طلب المعلومات اللازمة فى القضية محل البحث .

وعلى هذا فدلول عبارة أدب البحث عبارة عن مركب إضافى . . أدب . . وبحث والأدب رياضة محمودة تحمل النفس على التحلى بالفضيلة، والبحث لغة الفحص والتفتيش . واصطلاحا هو المناظرة نعطفها عليه عطف تفسير لصيانة النفس .

وكما قال الجرجانى « أدب البحث » صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان كيفية المناظرة وشرائطها صيانة له عن الخبط فى البحث وإلزاما للخصم، وإفحامه (١) .

ومن هنا ندرك خلق الله لبنى البشر متفاوتين فى تفكيرهم وإدراكهم وبالتالى فى تعبيرهم ومنطقهم ,ومن أجل هذا كان التنازع والتخاصم من طبائعهم ، أى أن كل إنسان يعتقد فى نفسه أكثر مما يعتقده فى غيره ولا يصدق إلا مايرشده إليه إدراكه ويهديه إليه فكره ويصوره له خياله .

وهذا يوقفنا على أن المخاصمة فطرية عند الإنسان ولذا كان الخلاف بين بنى البشر وكل واحد يدعى الحق لنفسه والباطل لخصمه .

ومصداق هذا قول الله تبارك وتعالى « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك (٢) » .

وعلى هذا فرحمة الله تداركت عباده بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين

---

(١) المرجع السابق للجرجانى .
(٢) سورة هود الآية ١١٩ .

ليس هــذا فحسب بل وهادين للحق ومرشدين للخير إلا أن بنى البشر لايتمسكون دائما بما تأتيهم رسلهم من الهدى والرشاد .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نجد لهم فى حياتهم قضايا وأمور قد لاتهديهم عقولهم إلى إدراكها بما جاءتهم به رسلهم فيبتعدون عن الحق ويختلفون على حلها فتحصل بينهم الخصومات والمنازعات والجدل ...

وقد يؤدى هذا إلى طمس الحق بينهم وذهاب الرشد عنهم وقد أصيب المسلمين ببعض هذا ككل الأمم ، وكل الجماعات وخاصة ماصحب الدين الإسلامى من قيام دراسات فقهية وتشريعية وكذلك دخول علوم أخرى فلسفية وإيجاد مواد أخرى اقتضتها لغة القرآن العربية ، وعقيدة المسلمين الدينية ، فكان من هذا علوم النحو والكلام والفلسفة ...

هذه الدراسات كلها أوجدت :

مشارب واتجاهات مختلفة التفكير ومتفاوته فى الفهم والتعبير مما أدى إلى وجود خلافات بين الباحثين ومنازعات بين المفكرين ومناظرات بين المسلمين وعلى هذا كانت الحاجــة إلى أدب البحث والمناظرة . للوقوف على الضوابط والمعلومات المبينة للقواعد والأصول لحل الخلاف بالحجة والدليل .

أى ولما كان الجدل فى الواقع البشرى من الوسائل المستخدمة لنشر الأفــكار والاقتناع بها لمن وهبهم الله سلامة الفطرة وصفاء الذهن ، وكانت أساليبهم ومناظراتهم تجرى على وفق هذه القواعد من غير أن تكون علما مدونا ، وطال العهد وقصرت القرائح احتياج الناس إلى استنباط قواعد يلتزمها المتباحثان للوصول إلى الصواب .

واضعه :

— وقد يقال هل فن أدب البحث والمناظرة ألف فيه غير المسلمين قبلهم أم لا ؟

نستطيع أن نقول كما قال صاحب شرح الرسالة الرشيدية أنه قد توجد هذه الآداب عند بعض بنى البشر بفطرهم[1] .

ولقد اشتهر بين المفكرين أن أول من وضع كتابا فى هذا العلم ، وفى جمع قواعده هو الفيلسوف اليونانى المشهور « أرسطو » فى القرن الرابع قبل الميلاد .

فى كتابه « الجدل » بيّن فيه كيف يكون الإلزام والإفحام ، ولكنه لم يطلق عليه مصطلح أدب البحث والمناظرة ، وإنما كان ضمن كتابه فى باب التحليلات ويبحث فى الجدل ومقدماته ، وجعله تابعا للمنطق[2] .

ومع هذا فلا يوجد برهان يقيم أنه كان أول من اخترع هذا العلم حيث يرى بعض العلماء أن قياس أرسطو ، قد استفاد كثيراً من مبادىء ونظريات الفيثاغوريين الرياضية[3] .

وظل الأمر هكذا إلى صدر الدولة العباسية حتى كثرت الترجمة واتسعت آفاق المناظرة فكان أول من ألف فى هذا الجانب الإمام البزدوى

---

(١) الشيخ على الغرابى تحقيق الرسالة الرشيدية

(٢) راجع أستاذنا الدكتور عوض الله جاد حجازى ، المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم ص ٣٠ ط الرابعة ١٩٦٤م

وراجع الملل والنحل الشهرستانى حـ ٢ ص ١١٩ ط الحلبى ١٩٦٨م

(٣) المرجع السابق لأستاذنا الدكتور عوض الله جاد حجازى

الحنفي وذلك في أواخر القرن الخامس الهجري وتبعه ركن الدين العميدي في أول القرن السابع حيث ألف كتابه المسمى بالإرشاد ثم تتابع العلماء في وضع مؤلفات واسعة خاصة بأدب البحث كالإمام الرازي وشمس الدين السمرقندي والإمام النسفي والسيد الشريف الجرجاني ...

تدوين علم أدب البحث :

وعلى كل ماتقدم يتضح أن تدوين مادة أدب البحث والمناظرة كعلم له قواعد ينبغي مراعاتها لدى المتخاصمين... إظهاراً للصواب قد لا توجد عند غير المسلمين وذلك لأنهم حرصوا على الوصول إلى الحق والمحافظة عليه امتثالا لحرصهم على دينهم الأمر الذي دفعهم للوقوف على ضوابط الفكر وإيجاد ضوابط العلوم التي لا توجد عند غيرهم مثل علم أصول الفقه وذلك لاستنباط أحكام الفقه ، ومثل علم الرجال لدراسة الحديث ، ومثل علم النحو ومعرفة ضبط أواخر الكلمات العربية محافظة على قراءة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قراءة صحيحة على حسب قواعد اللغة العربية لغة القرآن الكريم»[1] .

ومن بين هذه العلوم «علم أدب البحث والمناظرة» مما قد يبعد بهم عن طريق الحق والرشاد .

والحق والصواب هما غاية كل مسلم ، ومطلب كل مؤمن يؤمن بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فائدة دراسة هذا العلم :

يتضح لنا مما تقدم أن فائدة هذا الفن الإلمام بقواعده التي تعين على دفع الشبه ورد كيد الملاحدة بالمغالطات التي هي مركبة من مقدمات

---

(١) الشيخ على القراني تحقيق الرسالة الرشيدية

شبيهة بالحق ولا تكون حقا وتسمى مغالطة أو شبيه بالمقدمات المشهورة والتي هي المشاغبة .

وبالوقوف على كل هذه النقاط يكون طريق السير في المناظرة والجدل على وجه مفيد .

وهذا ما بينه القرآن الكريم في إطلاق الجدل ويراد به المناظرة ومصداق ذلك قول الله تبارك وتعالى « وجادلهم بالتي هي أحسن »[1] .

ومن هنا يتضح أن تخصيص المناظرة بقصد إظهار الصواب ،

وتخصيص المجادلة بقصد إلزام الخصم صاحب الدعوة إنما هو اصطلاح من مصطلحات المفكرين والباحثين .

أي بعد عصر القرآن الكريم . ومصداق ذلك ما نراه في القرآن الكريم وتعبيره بلفظ الجدل كما هو أصل اللغة أي المعارضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وأصله من جدَل الحبل أحكم فتله كأن كلاً من المتجادلين يفتل الآخر عن رأيه .

وقد ورد في القرآن الكريم الجدل على وجوه مختلفة سوف نقف عليها في مكانها من البحث .

وقد يطلق بعض العلماء المناظرة ويراد منها الجدل أو المكابرة كما سنقف على ذلك في ثناياه وكما قال الإمام الغزالي في رسالته المسماه « أيها الولد » إني أنصحك ألا تناظر أحداً في مسئلة ما استطعت لأن فيها آفات كثيرة وإثمها أكبر من نفعها وذلك لأنها منبع كل خلق ذميم كالرياء والكبر والحقد والحسد وغيرها .

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٥

ومن كل ما تقدم تتضح فائدة علم أدب البحث والمناظرة في النقاط التاليـة :

— فهم وإدراك الأبحاث والقضايا الواقعة في كل العلوم .

— تمييز العقائد الحقة التي يجب اعتقادها ، ومعرفة الدلائل البرهانية القائمة على الحجة والبيان .

— دفع ضرر الملحدين والمخالفين للحق ونصرته أينما كان .

— الالتزام بمقتضى ضوابط المعرفة وأصول البحث والمناظرة وبهذا تكون سعادة الدنيا والدين .

كما يقول الإمام الغزالي «اعلم أن للإنسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال . إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال ، وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعا ، وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو أشرف أحواله .

فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال .

فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات ، فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب .

والذي يعلم ولا يعمل به كالورق الأبيض الذي يفيد غيره وهو خال

عن العلم وكالمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع والإبرة التى تكسو غيرها وهى عارية وذبالة المصباح تضىء لغيرها وهى تحترق »[1] .

موضوع هذا العلم :

وموضوعه : هو الوقوف على كيفية البحث ومعرفة عوارضه الذاتية من كون البحث صحيحا أو غير ذلك .

فالأبحاث الكلية كالمنع والمعارضة والنقض الكليات ، والأبحاث الجزئية التى تندرج تحت هذه كمنع مقدمة معينة من دليل مخصوص ، ومعارضة دليل بعينه ، ونقض جانب خاص من الدليل وما إلى ذلك .

وحكمه :

وحكم دراسة هذا العلم الوجوب الكفائى لأنه يتوقف عليه معرفة طرق الرد على ذوى البدع والأهواء كما تتوقف عليه معرفة تمام الدليل العقلى التفصيلى على وجود الله تعالى .

لكنه قد يتعين تعلم هذا العلم على شخص معين فيصبح حينئذ فرض عين فى حقه لمواجهة ذوى البدع والمغالطات أو أصحاب التيار اللاعقلانى هذا من جانب ومن جانب آخر لتجلية الحجة والبرهان لدى الباحث والسائل .

---

(١) الإمام الغزالى إحياء علوم الدين جـ ١ ص ٦١ ط الحلبى ١٩٣٩ م ، وراجع الأحكام فى أصول الأحكام للإمام أبى محمد ابن حزم تحقيق الشيخ أحمد شاكر المجلد الأول جـ ١ ص ٢٠ ط الثانية ١٩٨٣

غاية علم أدب البحث والمناظرة :

يتضح لنا على ما تقدم أن غاية علم أدب البحث والمناظرة صيانة الذهن عن الضلالة والخطأ وذلك لأن الباحث مالم يدرك الطريق ولم يراع ما يجب رعايته فى البحث والسلوك فيه يخطىء الطريق ومن هنا كان لصون المناظرة عن الوقوع فى الخطأ لا بد من تحقيق أمرين:

١ — أن يعلم طريق المناظرة .

٢ — أن يعلم قواعدها .

وذلك لأنه بدونهما أى العلم بالقواعد ومراعاتها قد يخطىء ويضل الطريق فى الوصول إلى النتائج وهذا فى كل العلوم ومن هنا سميت هذه الصحالة بالمقدمة لأنها تشبه مقدمة الجيش التى تهىء للجند أسباب النزول وهذا يوقفنا على وجه المناسبة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى فى أن كليهما يتقدم غيره فمقدمة الجيش تتقدم الجيش ، ومقدمة الشروع فى العلم تتقدم العلم وعلى هذا نتناول الحديث عن المناظرة . . . . .

« تعريف المناظرة » :

ولما كانت المناظرة هى المقصودة بالنظر قدمها صاحب شرح الرشيدية وبدأ بتعريفها فقال المناظرة « مأخوذة من الأقوال التالية :

المناظرة فى اللغة :

١ — إما أن تكون مأخوذة من النظير بمعنى أن الأمر الذى يتنازعان فى إثباته وبيانه واحد فمثلا قضية العالم بين القدم والحدوث هى موضوع النزاع بين المصيب والمخطىء . فالأول يقول بحدوثه والثانى يقول بقدمه وفى هذا إيماء إلى أنه ينبغى أن يكون المتناظران متماثلين —

متكافئين أو متقاربين فلا يكون أحدهما فى غاية العلو والكمال الذى يدل على الرشد والصواب والآخر فى نهاية الدناءة والنقصان الذى يدل على التخلف والانحطاط .

٢ — وإما أن تكون مأخوذة من النظر بمعنى الإبصار وفى هذا بيان إلى أنه ينبغى أن يكون المتناظرين فى مجلس واحد ينظر كل منهما إلى الآخر ولا يعرض عنه تكبراً أو يعرض عنه صفحاً لأن هذا من شأنه صرف مأخذ التفكير والبعد عن الصواب .

٣ — وإما أن تكون مأخوذة من النظر بمعنى الفكر والتوجه إلى المعقولات والتأمل فيها ، وفى هذا إشارة إلى أنه ينبغى للمناظر أن لا يسرع إلى القول قبل التأمل فإن القول بعد التأمل والتفكر يكون مرتباً منسقاً .

٤ — وإما أن تكون مأخوذة من الإنتظار وهذا فيه إشارة إلى أنه يجب أن ينتظر أحد المتخاصمين إلى أن يتم المناظر الآخر كلامه وذلك بمعنى أن لا يتكلم فى حال كلامه .

٥ — وإما أن تكون المناظرة بمعنى المقابلة وهنا إشارة إلى أنه يحسن أن يجلس كل من الخصمين مقابلا للآخر حتى لا يشعر أحدهما بإهمال الآخر له وذلك بمعنى أن يقابل المناظر اليقين باليقين والظن بمثله وهكذا ...

تعريف المناظرة اصطلاحاً

المناظرة :

توجه المتخاصمين فى النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب .

شرح التعريف :

التوجه معناه التفات المتناظرين إلى المعنى المتنازع فيه فيشمل التناظر الذى يحصل فى النفس بين الحكماء — الاشراقيين [كما يزعم البوذيون من الهنود ونحن نستبعد أن يعلم إنسان ما فى نفس الآخر حتى يجادله ويناظره فيه لأن الله هو العليم بذات الصدور .

المتخاصمين :

المراد هنا فى الإطلاق التخاصم فى الرأى بحيث يثبت أحدهما شيئاً وينفيه الآخر .

وهذا يشمل النزاع القائم بين الفرق كالمعتزلة وأهل السنة فى نفى رؤية الله وثبوتها مثلا فى النسبة الخبرية التى تحتمل الصدق والكذب سواء كانت صريحة أو ضمنية بين الشيئين المحكوم عليه والمحكوم به.

« فهى تقوم على تردد الكلام بين شخصين أو طرفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه ، مع رغبة كل منهما فى ظهور الحق[١] .

---

(١) الشيخ محيى الدين عبد الحميد رسالة الآداب فى علم أدب البحث والمناظرة ص ٦ ط ١٩٤٢م وراجع التعريفات للجرجانى ص ٦ ط الأولى ١٩٨٣ م .

وقوله : إظهاراً للصواب : علة التوجه وذلك بمعنى أن يكون قصد المتناظرين الوصول إلى الحق وإن لم يصل أحدهما إلى الصواب . وهذا القيد لتخرج المجادلة والمكابرة كما سنقف على مفهوم ذلك فى مكانه من البحث .

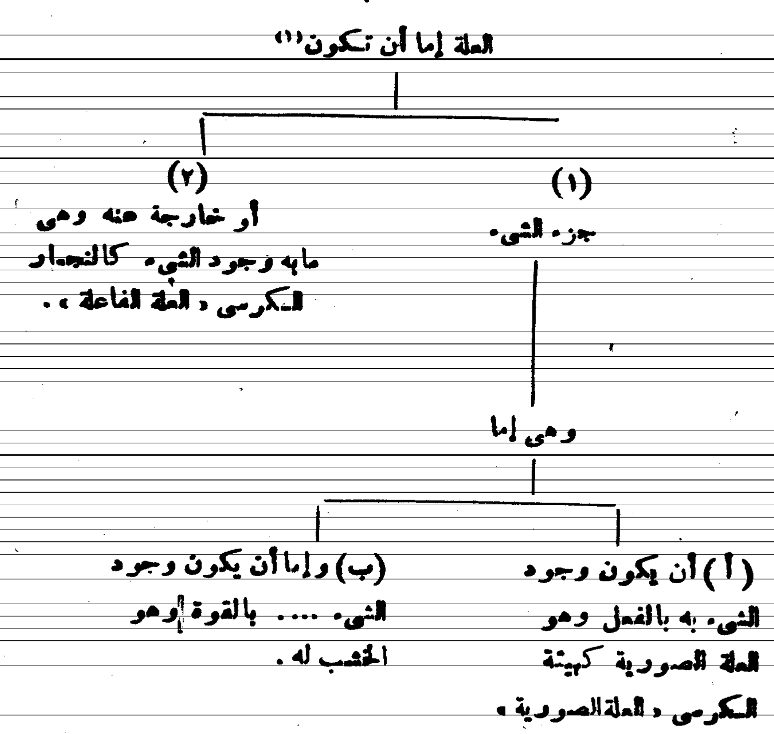
وقد أشار التعريف السابق للمناظرة إلى العلل الأربع فالتوجه علة صورية ، والمتخاصمان علة فاعلية ، والنسبة الخبرية علة مادية .

وإظهار الصواب علة غائية . والتعريف لا يكمل إلا بها جميعها وذلك لأن العلة مايكون سبباً فى وجود غيره سواء كانت جزء الشىء أو خارجة عنه إذ التعريف لا يكمل إلا بها جميعاً وذلك كالكرسى من الخشب لا يتحقق وجوده إلا بالخشب وهو العلة المادية ، والنجار ، وهو العلة الفاعلية ، والانتفاع به وهو العلة الغائية والهيئة التى هو عليها وهى العلة الصورية[1] .

وبيان ذلك يتمثل فيما يلى :

---

(١) السيد الشريف الجرجانى التعريفات ص١٥٤ ط١٩٨٣م وراجع رسالة الآداب للشيخ محيى الدين عبد الحميد ط١٩٤٢ م .



والعلة الفاعلة والعلة الغائية يخصان باسم علة الوجود . ولا تكون العلة الغائية إلا من فاعل مختار .

والعلة الغائية بإعتبار وجودها أولا فى الذهن تكون سبب فى وجود الشيء ومتقدمة عليه فى الوجود وباعتبار تحققها فى الخارج متأخرة عنه .

وسوف نتناول التعليل والعلة بالتفصيل فيما بعد .

---

(١) توضيح لبيان العلة بالتفصيل .

وقد ورد عن بعض العلماء تعريف آخر للمناظرة بأنها :

النظر من الجانبين فى النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب . وبالمقابلة بين التعريفين يتضح أن التعريف السابق أولى .

وذلك لأن قوله من الجانبين لا يشمل ما إذا اقتصر السائل على المنع هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فالتعبير بالمتخاصمين أوضح من التعبير بالجانبين لأنهما قد يكونان متخالفين تخالفاً ظاهرياً فيصح إطلاق لفظ الجانبين عليهما ولكنهما لا يسميان متخاصمين وذلك لأن التخاصم لا يتأتى إلا إذا كانا على طرفى نقيض فهذا يثبت الشيء وذلك ينفيه .

وعلى هذا يتضح لنا صدق الحكم السابق فى كون التعريف الأول للمناظرة أولى وأشمل من التعريف الثانى لها . حيث إنه جاء على وجه يفهم منه الناظر العلل الأربع للمناظرة .

فالتوجه علة صورية، والمتخاصمين علة فاعلية والنسبة علة مادية وإظهار الصواب علة غائية .

تعريف المجادلة

الجدل فى اللغة : هو اللدد فى الخصومة والقدرة عليها، وجادله مجادلة وجدالا ، ورجل جدِل ومِجدَل ومجدال : شديد الجدل . يقال جادلت الرجل فجدلته جدلا : أى غلبته ورجل جدل إذا كان أقوى فى الخصام وجادله أى خاصمه مجادلة وجدالا ، والاسم « الجدل » وهـو شدة الخصومة(١) وأصل الاشتقاق من الجدل وهو شدة الفتل .

الجدل فى الاصطلاح : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم — كما قال صاحب كتاب الشفاء — « أما المجادلة فهى مخالفة تبغى إلزام الخصم بطريق مقبول محمود بين الجمهور »(٢) وقال صاحب المصباح المنير بعد أن ذكر المعنى اللغوى « ثم استعمل على لسان حملة البيان والشرع فى مقابلة الأدلة لظهور أرجحها »(٣) وعلى هذا يتضح أن .

المجادلة : هى المنازعة لإلزام الخصم لا لإظهار الصواب فإن كان المجادل مستدلا كان قصده أن يلزم غيره ، وأما إن كان سائلا كان قصده أن يسلم من إلزام الغير له .

والتعبير بالمنازعة وهى مادة المفاعلة يدل على أن كلا منهما يقصد الإلزام لصاحبه فإن قصد واحد منهما الإلزام وتبين ذلك فى ثنايا دليله وجب أن يعرض عنه نظيره ، فإذا تمادى معه مع وضوح قصده صح لنا أن نطلق عليهما مجادلين تغليبا وفى هذه الحالة يكون السائل والمجيب كلاهما مجادلين .

---

(١) لسان العرب لابن منظور حـ ١١ ص ١٠٥ ط دار المعارف بالقاهرة

(٢) ابن سينا كتاب الجدل حـ ١ ص ٢٣ ط المطابع الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٨٥ هـ

(٣) الفيومى : المصباح المنير ط الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٢٦م

تعريف المكابرة

هى المنازعة لا لإظهار الصواب ولا لإلزام الخصم وإنما هو حب الثرثرة وشهوة الكلام كما أشتهر ذلك لدى السوفسطائين . ، فى اليونان فى القرن الخامس قبل الميلاد ...

حيث حملوا على عاتقهم تعليم الشباب بلاغة القول ، وطلاقة اللسان ، والقدرة على التغلب على الخصم بالحق أو بالباطل .

ومن هنا نرى أن السوفسطائيين لم يفعلوا شيئا سوى أنهم قد نموا فى الشباب قوة الجدل والمهاترة بالألفاظ والتلاعب بها وكان ذلك كله على حساب التفكير الصحيح والحجة الواضحة والحقائق العلمية ، وقد كانوا يرون فيما يرون أن الخطأ مستحيل مادام الفرد هو مقياس الأشياء ، وأن البرهنة على فساد رأى من الآراء مستحيل كذلك ، مادامت الحقيقة أمرا نسبيا ، وأن الشخص فى إمكانه أن يثبت الشىء ونقيضه فى وقت واحد مادامت الألفاظ ليس لها معنى محدود[1] .

وهذا قول فاسد ويسمى سفسطة ومشاغبة .

وهذه وتلك ترجع إما إلى الشكل والهيئة أو المادة فإن قيل الإنسان حيوان — وبعض الحيوان فرس فقد يؤدى هذا الفكر مع صحته موضوعا إلى نتيجة فاسدة هى أن بعض الإنسان فرس والسر فى هذا الخطأ يرجع إلى صورة الفكر وشكله .

---

(١) راجع أستاذنا الدكتور عوض الله جاد حجازى المرشد السليم فى المنطق القديم والحديث ص ٢٥ ط الرابعة ١٩٦٤ م

وقد ينشأ الخطأ من فساد المادة كما إذا قيل الحديد جسم نام وكل جسم نام فهو نبات .

فهذا الفكر صحيح من حيث الصورة ولكنه فاسد من حيث المادة ولذلك فهو يؤدى إلى نتيجة كاذبة هى الحديد نبات[1]

وعلى الجملة فقد حصر بعض العلماء أكثر جدليات الملحدين ومغالطاتهم فوجد أنها لاتخرج عن العناصر التالية :

١ — تعميم أمر خاص للمغالطة من أمر عام ليس له هذه الأحكام بقصد التضليل .

٢ — تخصيص أمر عام بالمغالطة فتبقى أحكام عن أفراد العام .

٣ — ضم إضافات وزيادات ليست فى أصل الدعوى .

٤ — حذف قيود وشروط لازمة يؤدى حذفها إلى تغير الحقيقة .

٥ — التلاعب فى معانى النصوص لإبطال حق أو إحقاق باطل .

٦ — طرح فكرة مختلفة من أساسها للتضليل .

٧ — اصيد بعض الاجتهادات الواهية لبعض الدارسين وجعلها هى الحجة والدليل فى القضية محل البحث مع أنها اجتهادات منتقدة مردودة من قبل مجتهدين آخرين ومن قبل جمهور العلماء .

٨ — التقاط مفاهيم شاذة موجودة عند بعض الفرق التى تنتسب إلى الإسلام ، وإطلاقها على أنها مفاهيم إسلامية مسلم بهـــا عند المسلمين والإسلام منها براء .

---

(١) راجع أستاذنا الدكتور محمد شمس الدين ابراهيم تيسير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية حـ ١ ص ١٧ ط ١٩٦٧م.

٩ — نسبة أقوال أو نصوص إلى غير قائليها أو رواتها.

١٠ — كتمان أقوال صحيحة وعدم التعرض لها مطلقا مع العلم بها وشهرتها.

١١ — الإيهام بأن العلوم المادية قائمة على الإلحاد وهذا على خلاف ما هي عليه في الواقع ... »[1].

وعلى هـذا يتضح أن أنواع المخاصمة الكلامية ثلاثة: لأنه إما أن يكون الغرض منها إظهار الصواب وهذه تسمى مناظرة.

وإما أن يكون الغرض منها إلزام الخصم لا إظهار الصواب وهي المجادلة.

وإما أن يكون الغرض منها المخاصمة فقط لا إلزام الخصم ولا إظهار الصواب وهي المكابرة.

كما أن المنازعة في الأمر البدهي تكون مكابرة ومجادلة.

تعريف النقل

هو الإتيان بقول الغير على ما هو عليه بحسب المعنى مظهراً أنه قول الغير.

كما يتضح أن النقل هو الإتيان بقول الغير على ما هو عليه ولو كان ذلك بحسب المعنى فقط مظهراً أنه قول الغير إذ لا يشترط النقل باللفظ لأن هذا لا يستطيعه جميع بني البشر سيما في العصور التي تنتشر فيها الأمية

---

(١) نقلا عن الدكتور طلعت الغنام في كتابه أصول البحث ص١٤٩ ط ١٩٨٧ م.

ولذلك كان كثير من الصدر الأول رضوان الله عليهم يروون الأحاديث عن رسول الله ﷺ — بالمعنى وقد قبلت الأمة منهم ذلك وتلقته بالعمل بما نقلوا لعلمهم أن المعنى الذى أراده رسول الله ﷺ لم يحصل له تحريف وإن كان اللفظ غير اللفظ .

والمراد هنا أنه لا يلزم فى النقل الإتيان بقول الغير بحيث لا يتغير لفظه ، بل إنما يلزم الاتيان به على وجه لا يتغير معناه ، ومع ذلك يلزم إظهار أنه قول الغير . كأن يقول مثلا : قال أبو حنيفة — رحمه الله تعالى النية فى الوضوء ليست بفرض .

وأما الإتيان بقول الغير على وجه لا يظهر منه أنه قول الغير لا صريحا ولا ضمناً ولا كناية ولا إشارة فهو اقتباس والمقتبس مُدَّعٍ فى إصطلاحهم .

ولذا أوجبوا عليه إقامة الدليل على مدعاه ويشترط فى الناقل لقول الغير على ما تبين فيما سبق أمران :

الأول : أن لا يغير المعنى مع إدراكه لقواعد اللغة ومصادرها ولو غير اللفظ .

الثانى : أن يظهر أنه قول الغير فلا يدعى لنفسه ما ليس له .

ومن هنا أوجبوا فى النقل أن يكون بصيغة من صيغ الأخبار مثل حدثنا وأخبرنا ...

ولذلك توجهت المناظرة على النسبة التى تضمنها النقل حتى ولو كان المنقول إنشائيا كما فى بعض الأحاديث فى قول الرسول ﷺ .

«صل من قطعك واعف عمن ظلمك»[1] .

---

(١) شرح النووى على صحيح الإمام مسلم وراجع المعجم المفهرس الألفاظ الحديث النبوى جـ ٤ ص ٣٨٥ ط ١٩٣٦ م .

تنبيه : أعلم أنه بعد ما نقل أحـــد المتخاصمين قولا إن كانت صحته وكونه مطابقاً للواقع معلوماً للآخر — فلا يصح طلب تصحيحه فإنه مع العلم بذلك لو طلب تصحيحه كان مكابراً أو مجادلا وإن لم يكن معلوما له لابد له من طلب التصحيح وإلا لم يكن مناظراً وعلى هـــذا يتضح لنا موقف الخصم من الناقل :

فإن كان النقل صحيحا معلوما للخصم فلا يصح طلب التصحيح لأنه لو طلب تصحيحه مع علمه بذلك كان مكابراً أو مجادلا كما تبين فيما سبق .

وإن لم تكن صحته معلومة فلابد من أن يطلب الخصم التصحيح وإلا لم يكن مناظراً . فيقول مثلا لا أسلم لك نقلك وأطلب تصحيحه فيرد عليه الناقل بأن ما نقلته عن الإمام النووى فى المثال السابق مذكور ومضمون فى موسوعته المعروفة — شرح النووى على صحيح مسلم .

ولذلك عرفوه بأنه بيان صدق ما نسب إلى المنقول عنه أى صحة نسبة القول إلى قائله .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فلا يلزم من صحة نسبة القول إلى قائله صحة المنقول فى ذاته لأنه ليس مدعيا وإنما هو ناقل فقط .

وهذا يسلمنا إلى الحديث عن المدعى .

المدّعى

هو من نصب نفسه لإثبات الحكم بالدليل أو التنبيه .

شرح التعريف

التعبير هنا بمن نصب أولى من قول البعض ما وذلك لأن التناظر لا يكون إلا بين ذوى العقول .

ولذا ورد التعبير بمن إشارة إلى ذلك .

ونصب نفسه : أى تصدّى وأقام نفسه لإثبات الحكم إن كان مجهولا نظرياً .

والمراد به من يثبته على خلاف ما استدل عليه المعلل لأنهما لم يتصديا لإثبات الحكم بل تصديا لنفيه .

كما أن قوله بالدليل : أى إن كان نظرياً أما إن كان بديهيا خفيا ويسمى غير الأولى أظهره وكشف عنه بالتنبيه .

وإن كان ظاهر التعريف أن الإثبات إما بالدليل وإما بالتنبيه إلا أن مهمة التنبيه الكشف والإظهار فقط لما كان بديهيا خفيا

وهذا هو المراد من قوله لإثبات أى تمكين الحكم فى ذهن السائل وذلك يكون بالدليل كما يكون بالتنبيه .

أما إن كان المـــدعى بديهيا جليا وهو ما يسمونه أوليا فلا تصح المناظرة فيه لأنه لا ينكره إلا مجادل أو مكابر كما تبين فيما سبق .

والمدعى إن شرع فى الدليل الإنى يسمى مستدلا ، وإن شرع فى الدليل اللمى يسمى معللا .

وقد يستعمل كل منهما مقام الآخر بمعنى المتمسك بالدليل مطلقا .

وعلى هذا فالمدعى إما أن يكون مستدلا ؟ أو معللا ؟ على ما أجاب به المعلل .

والدليل الإنى : هو الاستدلال بالعلة على المعلول ، كأن يستدل بالنار على وجود الحرارة .

والدليل اللمى : هو الاستدلال بالمعلول على العلة كالاستدلال بالدخان على وجود النار .

وأما وجه الاستدلال بأحدهما مكان الآخر فالمراد به التمسك بالدليل مطلقا .

وعلى ذلك فطرق الاستدلال تتمثل فى :

الاستدلال بالمعلول على العلة أو العكس أو الاستدلال بأحدهما مكان الآخر بمعنى التمسك بالدليل .

السائل

عرف صاحب التعريفات السائل بقوله

هو من نصب نفسه لنفى الحكم المدعى .

وقد يطلق على ما هو أعم ومن هنا اعترض عليه بأن هذا التعريف لا يشمل السائل إذا كان مقتصرا على المنع المجرد .

وحدد السائل بأنه هو من تكلم على ما تعلق به المدعى سواء كان مانعا أو ناقضا أو معارضا .

وعلى هذا اصطلح العلماء على تسميته بالسائل لأن الأسئلة ترد من جهته غالبا منحصرة فى المنع والنقض والمعارضة .

الدعوى

هى مايشتمل على الحكم المقصود إثباته

ومعنى ذلك أن الدعوى هى القضية التى تشتمل على الحكم المقصود إثباته بالدليل أو إظهاره بالتنبيه .

ولما كانت القضية محل البحث تشتمل على الحكم اشتمال الكل على الجزء لأنه لا يصح الإخبار بالقضية على أحد أجزائها .

ولذا فلا يقال المحكوم عليه بمفرده قضية وذلك لأن أجزاء القضية ثلاثة محكوم عليه ومحكوم به ونسبة .

والدعوى هى مايشتمل على الحكم المقصود إثباته ولها أسماء مختلفة باعتبار الغرض الذى يراد منها .

فإن كانت موضوعا للبحث والسؤال سميت مبحثا ومسئلة .

وأما إذا استدل عليها سميت نتيجة .

وعند ما تصبح أمرا كلياً يقاس عليها غيرها سميت قاعدة وقانون .

والمطلوب أعم من الدعوى وذلك لأن الدعوى خاصة بالمعلومات التصديقية ، وذلك بخلاف المطلوب فيكون تصوريا وتصديقيا فإذا كانت القضية لمعرفة ماهية الإنسان كان مطلوبا تصوريا وإذا كانت القضية لمعرفة وحدانية الله تبارك وتعالى كان المطلوب تصديقاً .

وذلك لأن الدعوى لا تصدق إلا على المعلومات التصديقية . أما المطلوب فإنه يصدق على المعلومات التصورية والتصديقية وبهذا يتضح أن المطلوب أعم من الدعوى .

وقد يقال المطلب دون المطلوب وذلك لما يطلب به التصورات كقولك الإنسان . ما هو ؟ والتصديقات كقولك العالم حادث .

ومن هنا فلما كان اكتساب المطلوب التصوري بالتعريف ... واكتساب التصديق بالدليل ، وكانت التصورات مقدمة على التصديقات قدم تفصيل التعريف بحيث يعلم منه تعريف أقسامه .

وهذا يدعونا الوقوف على تناول ذلك .

مبحث التعريف

عرف السيد الجرجاني صاحب التعريفات التعريف بقوله .. هو عبارة عن ذكر شيء تستلزم معرفته معرفة شيء آخر[١] وعلى هذا فالتعريف ينقسم إلى قسمين :

تعريف حقيقي   وتعريف لفظي

أولا : التعريف الحقيقي : وهو ما يقصد به تصور الشيء بحقيقته ، أو بما يميزه عن جميع ماعداه ، أي هو ما به تحصيل صورة لم تكن حاصلة من قبل .

والتعريف الحقيقي نوعان :

النوع الأول : الحقيقي بحسب الحقيقة وما قصد به تصور ماهية علم وجودها في الخارج نحو الإنسان هو الحيوان الناطق وذلك بمعنى أن أفراد الإنسان التي هي عالة وعر موجودة خارجا .

النوع الثاني : الأسمي ويسمى الحقيقي بحسب الإسم وهو ما قصد به تصور ماهية لم يعلم وجودها خارجا كالمهايا والحقائق الإعتبارية وحقائق العلوم الاصطلاحية قبل الوقوف على حقيقتها .

مثال المهايا الاعتبارية كقولهم : العنقاء طائر عجيب يقيم في الفلوات . ومثال حقائق العلوم الاصطلاحية تعريف علم أدب البحث والمناظرة باعتباره فنا مدونا بقولهم: هو علم يبحث فيه عن أحوال الأبحاث الكلية من حيث كونها موجهة أو غير موجهة .

---

(١) السيد الشريف الجرجاني المرجع السابق ص ٦٢

فهذا التعريف إذا أتى المبتدىء فى البحث عن الحقيقة كان من قبيل التعريف الأسمى الذى يسمونه الحقيق بحسب الإسم .

فإذا وقف الطالب على قواعد هذا الفن وأدرك مفهومه وغايته أصبح التعريف عنده حقيقيا بحسب الحقيقة لأن ماهية هذا الفن وجدت أفرادها خارجا لديه .

ولذا يتضح أن التعريف الأسمى قد ينقلب تعريفا حقيقيا بحسب الحقيقة كما وقفنا على ذلك من خلال هذا البيان .

فإن قيل تقسيم التعريف الحقيقى إلى حقيقى وإلى اسمى تقسيم للشىء إلى نفسه وإلى غيره وهو باطل ؟ قلنا جوابا عن هذا الاعتراض :

إن الحقيقى الذى نقسمه أعم وأشمل من الحقيقى الذى هو أحد القسمين .

فالحقيقى الذى نقسمه يراد به الماهية العامة سواء كانت معلومة الوجود فى الخارج أولا .

أما الحقيقى الذى هو أحد القسمين فالمراد به الخاص بالماهية المعلومة الوجود فى الخارج وعلى هذا فليس المراد بالثانى الأول بل الثانى نوع من الأول .

أى أن الحقيقى هو مايفيد معرفة ماهية الشىء أعم من أن تكون تلك الماهية موجودة أولا .

وما هو بحسب الحقيقة ما يفيد معرفة الحقيقة الموجودة ، وبما هو بحسب الاسم مما يفيد معرفة الحقيقة الاعتبارية الاصطلاحية كما يتبين فيما مضى[1] .

---

(١) راجع الشيخ محى الدين عبد الحميد رسالة الآداب .

ثانيا : التعريف اللفظى :

فهو ما يقصد به تمييز صورة حاصلة عما عداها ، أى أنه تفسير معنى لفظ غير واضح بلفظ أوضح يراد منه .

والتعريف اللفظى ينقسم إلى :

(ا) تعريف لفظى مفرد كقولنا : البر : القمح والورد : الزهر : والغضنفر : الأسد .

(ب) تعريف لفظى مركب: كتعريف الوجود بأنه ثبوت الأمر فى الخارج .

وهذا التعريف اللفظى المركب وما يضاهيه لا يمكن جعلها تعريفات حقيقية لأنها كثيرا ما تؤدى إلى الدور والتسلسل .

فإذا قيل ما الموجود ، قلت الموجود هو الأمر الثابت .

فإذا قيل ما هو الأمر الثابت . قلت : الأمر الموجود .

وهكذا فقد توقف كل منهما على الآخر فوجب أن تكون من قبيل التعاريف اللفظية وإن كانت غير مفردة .

وقد عرف ابن الحاجب التعريف اللفظى بقوله :

هو تفسير اللفظ بلفظ أوضح وأظهر مرادفاً له .

وقد اعترض عليه بأن التعريف اللفظى المركب لا يشمله هذا التعريف وذلك لأنه اشترط الترادف وهو من أوصاف المفرد .

وإن كانت تعريفات الوجود لفظية .

إلا أنه اشترط الترادف كما قلنا وهو من أوصاف المفرد وتعريفات الوجود ليست مفردة .

— وأجيب عنه بأنه قصد بالمركب مجموعة لا تفصيله فيوصف بالترادف حكما وهذا فيه تكلف ولذا عدل عنه السيد الشريف الجرجانى ولم يذكره[١] .

وجه توجه المناظرة إلى التعريف اللفظى :

اختلف العلماء فى التعريف اللفظى هل هو من قبيل التصورات أو من قبيل التصديقات .

فالذين يرون أنه من قبيل التصورات ينادون بأن مهمة التعاريف تصوير المعرف .

والذين يرون أنه من قبيل التصديقات يوجهون رأيهم بأن مآل التعريف اللفظى يعود إلى التصديق بأن هذا اللفظ موضوع لهذا المفهوم لغة أو اصطلاحاً .

وعلى هذا إن كان التعريف من قبيل التصديقات فتوجه المناظرة إليه لأنه اشتمل على دعاوى حقيقية .

وإن كان من قبيل التصورات فتوجه المناظرة إليه لأنه مشتمل على دعاوى ضمنية .

(١) راجع المرجع السابق للجرجانى ص ٦٢

الأبحاث الواردة على التعريف اللفظى :

يرد على التعريف اللفظى أمور تتمثل فى :

المنع — النقض — المعارضة

فالمنع يرد بمعنى طلب تصحيح النقل عن أصحاب اللغة .

ويرد ذلك إلى القاموس اللغوى والتحقق من القضية الواردة على التعريف وبيان ذلك منه .

— وأما النقض فيرد على التعريف اللفظى بأنه أعم أو أخص وليس بمرادف .

ويجاب عن هذا بأن بعض العلماء يجيز التعريف اللفظى بالأعم وبالأخص .

— كما أن المعارضة ترد على التعاريف ولكن بغير معناها المصطلح عليه ، وإنما ترد بمعنى وجود تعريف مخالف مستلزم لبطلان الأول .

وبيان ذلك فى الأبحاث الواردة على التعريف اللفظى :

لو عرف الطيب بأنه المسك .

لصح أن يقال إنه أخص ، كما لو عرف الورد بأنه الزهر لصح أن يقال أنه أعم .

وأيضا لو عرف العجب بأنه أصل الذنب . لصح أن يقال لقائله أطلب تصحيح النقل :

فيجيبه صاحب التعريف عن الأول والثانى بأن بعض العلماء يجيز التعريف اللفظى بكل منهما أى بالأعم والأخص .

وأيضا من الثالث بالرجوع إلى القاموس اللغوى والوقوف على حقيقة التعريف اللفظى من فصل العين باب الباء فنيه العجب بالفتح أصل الذنب .

وهكذا تتضح الأبحاث الواردة على التعريف اللفظى[1] .

وبعد أن وقفنا على الموصل إلى التصورات وهو التعريف نتنـــاول الموصل إلى التصديقات وهو الدليل .

تعريف الدليل :

هو المعنى المركب من قضيتين للتأدى إلى مجهول .

نظرى .. كقولنا : العالم متغير .

: وكل متغير حادث .

النتيجة : الحاصلة من هذا والتى هى المجهول النظرى : العالم حادث .

فإن قيل قد لايؤدى إلى مجهول مع أنه مركب من قضيتين كما فى الدليل الذى اختل فيه شرط من شروط الإنتاج ويسمى بالدليل الفاسد .

أجيب بأن اللام فى قولنا للتأدى للغرض سواء حصل المقصود عقب الاستدلال أم لم يحصل .

فإن قيل قد يتركب الدليل من قضايا ثلاثة أو أكثر كما إذا قلنا : العالم متغير ، وكل متغير حادث ، وكل حادث لابد له من محدث فالعالم لابد له من محدث .

---

(١) راجع فضيلة الشيخ محى الدين عبد الحميد رسالة الآداب فى علم أدب البحث والمناظرة ص ٥٩ ط ١٩٤٢ م

وعلى هذا فالدليل المركب من أكثر من قضيتين في الحقيقة هو دليلان أو أدلة إذ التحقيق أن الدليل لا يتركب إلا من قضيتين فحسب .

ومعنى هـــذا أنه يرد على التعريف أنه لا يشمل الدليل الفاسد لأنه لا يؤدي إلى المطلوب .

هذا وقد أجيب بأن اللام في التعريف في قوله للتأدي للغرض سواء تحقق أو لم يتحقق كما قلنا كما أن التعريف لا يشمل الدليل المركب من أكثر من قضيتين لأن المصنف قال فيه المركب من قضيتين .

وأجيب بأن مثل هذا الدليل يكون دليلان أو أكثر ، وذلك لأن حقيقة الدليل بأنه المركب من قضيتين .

وقوله هذا أولى من قول البعض من مقدمتين إذ المقدمة في المشهور مفسرة بما جعل جزء الدليل وهذا يوهم الدور .

وتعريف الدليل السابق هو للحكماء واختاره الشريف الجرجاني(١) .

وهناك تعريف مشهور مفهومه أن الدليل هو ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر(٢).

وقد اعترض عليه بأنه يرد على ظاهرة الملزومات بالنسبة إلى لوازمها البينة كالنار والحرارة فإذا علم وجود الحرارة وهي اللازم علم وجود الملزوم وهو النار وكلزوم الزوجية للأربعة ومع هذا لا تسمى دليلا مع انطباق التعريف المشهور وهو ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر فكأنه غير مانع.

(١) المرجع السابق للجرجاني ص ١٠٤

(٢) راجع الدكتور علي جبر محاضرات في علم الكلام ص ٣٥ وما بعدها

وراجع العلامة ابن حزم المرجع السابق

الدليل عند الأصوليين :

هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه أو فى أحواله إلى مطلوب خبرى .

كقولنا فى المثال السابق ، العالم متغير ، وكل متغير حادث فالعالم حادث .. فلفظ العالم وإن كان مفرد إلا أنه يسمى دليلا عند الأصوليين وعند الحكماء مجموع العالم متغير وكل متغير حادث .

وعلى هذا فالفرق بين اصطلاح الحكماء وهم الفلاسفة وبين الأصوليين وهم أصحاب علم أصول الفقه .

إن الدليل عند الأصوليين بسيط وعند الحكماء مركب وهذا يوقفنا على بيان التنبيه .

تعريف التنبيه :

هو المركب من قضيتين لإزالة خفاء البديهى الذى يسهو الذهن عن إدراكه فى بعض الأوقات .

ولذا فالبديهى يسمى تنبيها وذلك لأن الدليل قد يختص بالأدلة التى يلزم من التصديق بها ـ التصديق بمدلولها وهذا بخلاف الدليل الذى يوصل إلى مدلول ظنى فلا يسمى دليلا ، وإنما يسمى أمارة .

أى أنه قد يقال الملزوم العلم دليل وهو مايلزم من التصديق به التصديق اليقينى بغيره .

والملزوم الظن أمارة وذلك لأنه لابد من سوق الدليل على وجه يستلزم المطلوب فإن كان المدلول يقينيا ساق المدعى له مايوصل إلى اليقين[1] .

---

(١) مثال : ذلك أن تقول : العالم متغير وكل متغير حادث فالعالم ...

وإن كان ظنيا اكتفى فيه بالمقدمات الظنية(١) .

ولما كان الدليل لابد له في التأدي إلى العلم من التقريب ذكر تعريف التقريب كما هو واضح مما سبق فقال التقريب :

سوق الدليل على وجه يستلزم المطلوب فإنه كان الدليل يقينا يستلزم اليقين به وإن كان ظنيا يستلزم الظن به .

ولذلك حدد علماء البحث والمناظرة أن الأمارة هي ما تركب من قضيتين كلتاهما ظنية توصل إلى الظن بالمجهول .

فما يفيد اليقين يسمى دليل وما يفيد الظن يسمى أمارة .

التعليل والعلة :

التعليل هو تبيين علة الشيء ، والمراد بالعلة العلة التامة بقرينة التبيين باعتبار أن المقصود الأصلي من التبيين العلم بالمطلوب .

وهذا لايحصل بغير العلة التامة ، فالعلة هي مايحتاج إليه الشيء في ماهيته ويتوقف عليه وجوده سواء كان داخلا كالمادة التي تتكون منها كالركوع والسجود بالنسبة الصلاة وكالخشب بالنسبة الكرسي أو خارجيا كالمصلي بالنسبة الصلاة والنجار بالنسبة الكرسي .

وعلى هذا يتبين لنا أن العلة إما أن تكون : تامة : أو ناقصة .

= حادث وهذا العالم لابد له من موجد وهو الله سبحانه وتعالى وهذه المقدمات يقينية موصلة إلى اليقين .

(١) كقول الإمام مالك مسح الرأس ركن من أركان الوضوء وكل ركن يجب تعميمه بالغسل فهذه مقدمات ظنية موصلة إلى دليل ظني .

فالعلة التامة :

وهى ما يتوقف عليه الشيء فى ماهيته أو فى وجوده وجميعه يسمى علة تامة، أى لاتتم إلا باجتماع المادة والهيئة الصورية . والفاعل والغاية والشرائط اللازمة مع انتفاء الموانع مع ملاحظة أن فقد شيء مما تقدم يترتب عليه أن تكون العلة ناقصة .

العلة الناقصة :

وتتمثل فى العلة المادية وهى ما به يكون الشيء كالخشب للكرسى .

والعلة الصورية :

وهى ما به يوجد الشيء بالفعل كالهيئة الصورية المطابقة للتصميم الذهنى .

والعلة الفاعلية :

وهى ما عنه يكون الشيء بالفعل كالنجار .

والعلة الغائية :

ما لأجله يكون الشيء كالجلوس على الكرسى .

والعلة بالمعنى العام إما أن تكون قريبة أو بعيدة وذلك كما لو نظرنا إلى أن آدم صلوات الله وسلامه عليه أبو البشر علة بعيدة فى وجود بنى البشر اليوم والتزاوج الآن بينهم علة قريبة .

ـــ فالعلة التامة هى ما اشتمل على مجموع العلة والشروط إلا أن يدعى كون الشروط خارجة عن العلة التامة ولذا يجب على المدعى التعليل وهو إظهار العلة التامة للدعوى التى يراد إثباتها فى القضية محل البحث[1] .

---

(١) راجع السيد الشريف الجرجانى التعريفات ص ١٥٤ ط ١٩٨٣ م

الملازمة

الملازمة هى : كون الحكم مقتضياً لآخر بحيث يكون إذا وجد الملزوم وجد اللازم . ويعبر عنها باللزوم ، أو التلازم ، أو الاستلزام وهى كقولك : كلما كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا .

وهــذا بخلاف ما إذا كان وجودهما على سبيل الاتفاق والمصادفة كقولك كلما كان على" نائما كان القمر طالعا ومن هنا يتبين أنه لاتلازم بين القولين السابقين .

وعلى هذا فالتلازم لايكون إلا بين الأحكام وإن كان العلماء قد أطلقوا معنى الملازمة على مابين المفردات كما فى الزوجية وكونها ملازمة للأربعة فذلك لأنها فى الحقيقة تتضمن التلازم بين الأحكام .

وعلى هذا فلا يكون هناك فرق بين القضايا والمفردات فى تحقيق التلازم .

والاستلزام إماأن يكون من الجانبين كما إذا قلنا : كلما كان هذا إنساناً كان ناطقاً فيصح أن نطلق على الأول ملزوم والثانى لازماً . وأيضاكرض الحمى ووجود الحرارة فالحرارة ملزوم والحمى لازم .

وقد يكون التلازم من جانب واحد كما فى المثال السابق .

وكلما كانت الشمس طالعة كان الضوء موجوداً . لجواز أن يكون وجود الضوء من غير طلوع الشمس فالملزوم هو ما يقتضى غيره كاقتضاء النار للحرارة .

واللازم : هو مايكون مقتضى غيره كالحرارة للنار . وعلى هذايتضح لنا وجه بحث الملازمة كما تقدم لدى علماء أدب البحث والمناظرة .

وذلك لأن الخصم قد يعترض عليها ويورد عليها أسئلته وذلك بمعنى أنه لا يسلم بها ويقول أمنع الملازمة أو أن هذا تلازم إتفاقى لا عقلى وما يشبه ذلك إذ كثيرا مايرد المنع على بطلان اللازم كما يرد على أصل الملازمة.

ولهذا أردف تعريفها بتعريف المنع الذى هو من وظائف السائل وهو من تكلم على ما نطق به المدعى سواء كان مانعا أو ناقضا أو معارضا وهذا القول يسلمنا إلى بيان وظائف السائل.

وظائف السائل

أولا: المنع: وهو طلب الدليل على مقدمة معينة ويسمى مناقضة ونقضا تفصيليا أيضا. وعلى هذا فالمنع هو طلب الدليل أو التنبيه على مقدمة معينة من مقدمات الدليل الذى أورده خصمه فإن كان المنع على مقدمات كثيرة فهو فى الحقيقة منوع متعددة كما لو استدل المستدل على وجود الصانع بقوله:

العالم متغير وكل متغير حادث

وكل حادث لابد له من محدث فللسائل أن يقول أمنع المقدمة الأولى ولئن سلمتها أمنع أن كل متغير حادث ولئن سلمتها أمنع أن كل حادث لابد له من محدث ... وهكذا.

فهذه ممنوع متعددة يرد كل واحد منها على مقدمة معينة واحدة.

فإن ورد المنع على مقدمة غير معينة لم يسمع لأن غير المعين لا يمكن إثباته.

والمراد بالمقدمة مايتوقف عليه صحة الدليل وعلى هذا يكون تعريف المقدمة من تتمة تعريف المنع.

أى أن حاصل تعريف المنع طلب الدليل على مقدمه معينة من حيث هى مقدمة .

ويوضح لنا ذلك التعريف السابق للمنع وأنه يسمى مناقضة ونقضاً تفصيلياً وذلك لأن النقض إما أن يكون نقض إجمالى أو نقض تفصيلى.

والأول هو : إبطال الدليل بعد تمامه بالتخلف أى تخلف المدلول عن دليله ، أو باستلزامه المحال .

والنقض التفصيلى :

يساوى المنع وهو طلب الدليل على مقدمة معينة كما يشترط لتوجه المنع على المقدمة أن لا تكون من البديهيات ولا الأوليات ، ولا من القضايا المسلمة عند السائل لأن ذلك يكون مكابرة .

وذلك لأن السند فى المنع هو مايذكره المانع لتقوية المنع فى زعمه وصور السند تتمثل فى :

١ — الجواز : وهو مايصدره المانع بقوله لم لايجوز كذا ...

٢ — القطع : وهو مايجزم فيه المانع بنقيض المدعى.

٣ — الحل : وهو مايبين فيه السائل غلط المدعى .

وبعد بيان النقض التفصيلى الذى هو المنع وبيان مايذكر لتقويته نتناول النقض الإجمالى حيث عرف النقض بأنه :

إبطال الدليل بعد تمامه متمسكا بشاهد يدل على عـــدم استحقاقه للاستدلال به ، وهو استلزامه فسادا ما ، ونصل بدعوى التخلف أولزوم محال ويسمى نقضا إجمالياً أيضا .

وعلى هذا فللنقض ثلاثة إطلاقات :

١ — النقض بالمعنى المطلق : وهو ما يطلق على النقض التفصيل والإجمالى معاً .

٢ — النقض التفصيلى : وهو ما يطلق على المعنى الخاص وعلى المنع .

٣ — النقض الإجمالى : وهو مايساوى النقض التفصيلى فى إطلاق مطلق النقض عليه .

وعلى ضوء ماتقدم يتضح أن الأسئلة الواردة على دليل المعلل ثلاثة : المنع ، والنقض ، والمعارضة ، فالأولان ما عرفت والثالث هو موضوع النقاط التالية .

المعارضة : وهى إقامة الدليل على خلاف ما أقام الدليل عليه الخصم فإن اتحد — دليلاهما فمعارضة بالقلب ومعارضة بالمثل وإلا فمعارضة بالغير .

والمراد بالخلاف ما ينافى مدعى الخصم أى النقيض أو المساوى للنقيض أو الأخص منه مطلقا ، وعلى هذا فلا يكون المراد بالخلاف مطلق المغايرة ، كما يشعر به لفظ الخصم لأنه إنماتتحقق المخاصمة لو كان مدلول دليل أحدهما منافى لمدلول دليل الآخر .

وذلك لأن المشهور بين علماء أدب البحث والمناظرة — أن التعارض يكون بين الأدلة .

ولما كان الكلام الذى أورده المعلل يقوم على مقابلة مدلوله بمدلول مخالف له .

وعلى هذا فلا يمكن التعارض بين دليلين شرعيين إلا إذا اتحد زمانهما ، أما لو اختلف زمانهما ، فالشأن أن المتأخر ناسخ للمتقدم .

كما أنه لا يمكن التعارض بين دليلين قطعيين لأنه يمتنـــع وقوع التناقض معاً ولا تعارض أيضاً بين قطعي وظني بل العمل بالأقوى وهو القطعي، كما لو استدل المعلل على إقامة المعارضة بقوله :

إن هـذا الشـكل ليس بمثلث بقوله: هـذا الشكل مربع وكل مربع ليس بمثلث .

فمارضـة السائل بقوله : هـذا الشكل مسطح مستو تحيط به ثلاثة خطوط متقاطعة وكل ما كان كذلك فهو مثلث .

فهذا الشكل مثلث .

والمعارضة هنا تنتج نقيض المدعى .

وإذا عارضه بقوله: هذا الشكل ذو زوايا ثلاث وكل ما كان كذلك فزواياه لاتزيد عن قائمتين فهي معارضة تنتج مساوى النقيض .

وإذا عارضه بقوله: إن هذا الشكل ذو زوايا ثلاث منهـا زاويتان متساويتان وكل ما كان كـذلك فهو متساوى الساقين .

فهذه معارضة تنتج أخص من النقيض .

وعلى هذا تتضح وظيفة السائل في المعارضة وهو أنه إما أن يكون مانعا بطلب الدليل على مقدمة معينة .

— وإما أن يكون ناقضا بإبطاله دليل المعلل.

— وإما أن يكون معارضا بإقامته دليلا عـلى خلاف ما أقام الدليل عليه الخصم [1] .

وهذا البيان يوقفنا على أقسام المعارضة كما هى واردة فيما تقدم في تعريفها .

(١) راجع فضيلة الشيخ محي الدين عبد الحميد المرجع السابق ص ١١٠ ط ١٩٤٢ م .

أقسام المعارضة

تنقسم المعارضة باعتبار مادتها وصورتها إلى ثلاثة أقسام :

الأول : معارضة بالقلب وهى : ما اتحد فيها دليل المعلل مع دليل السائل فى الصورة وبعض المادة وذلك كما لو استدل المعتزلى على عدم إمكان رؤية الله بقوله :

رؤية الله منفية فى كتاب الله تعالى بقوله : «لاتدركه الأبصار»[1] ، وكل ما كان كذلك فهو غير ممكن فعارضه المعارض السنى بقوله :

رؤية الله منفية فى كتاب الله تعالى وكل ما كان كذلك فهو ممكن وبيان ذلك : أن نفى الشىء دليل على إمكانه وإلا لما احتجنا إلى نفيه ، وذلك لأن المستحيل معدوم فى ذاته لايقبل الوجود ولايحتاج إلى نفى الشارع له .

وبالنظر فى الدليلين نجدهما متحدين صورة ومادة . وسميت معارضة بالقلب لأن المعارض يقلب الدليل فيجعله شاهداً له بعد أن كان شاهد عليه .

ولاتتأتى المعارضة بالقلب فى الأدلة العقلية اليقينية ، وإنما تتم وتتأتى فى المغالطات العامة أو فى القياسات الفقهية الظنية كما إذا قال الحنفى: مسح الرأس ركن من أركان الوضوء ، فلا يكفى أقل مايطلق عليه المسح ، كغسل الوجه . فيقول : الشافعى معارضا : المسح ركن منها فلا يقدر بالربع كغسل الوجه وهكذا .

(١) سورة الأنعام جزء من الآية ١٠٣

الثانى : معارضة بالمثل وهى : ما اتحد فيها دليل المعلل مع دليل السائل صورة لا مادة بأن يتحدا فى الشكل ويختلفا فى الأجزاء والألفاظ .

كما إذا قال المعلل : العالم محتاج إلى المؤثر ، وكل محتاج إليه حادث فالعالم حادث .

يقول المعارض : العالم مستغن عن المؤثر وكل مستغن عنه قديم ، فالعالم قديم فالدليلان متحدان فى الصورة لكونهما من ضرب واحد من الشكل الأول .

وأيضا كما لو قال السنى المعارض لدليل المعتزلى السابق رؤية الله علقت على ممكن وهو استقرار الجبل فى قوله تعالى :

« فإن استقر مكانه فسوف ترانى »[1] وكل ما كان كذلك فهو ممكن .

فهذا أيضا متحد مع دليل المعلل شكلا وضربا غير أنه مختلف معه فى المادة .

الثالث : المعارضة بالغير وهى : ما اختلف فيها دليل المعلل مع دليل السائل مادة وصورة .

وذلك كما لو قال المعتزلى : رؤية الله منفية فى كتاب الله بقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار »[2] وكل ما كان كذلك فهو غير ممكن .

وهنا تكون المعارضة من السنى بقوله : لو كانت رؤية الله غير ممكنة لما أخبر الله بوقوعها فى الآخرة . لكن الله قد أخبر بها قال تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة »[3] فثبت جوازها بل وقوعها .

---

(١) سورة الأعراف جزء من الآية ١٤٣
(٢) سورة الأنعام جزء من الآية ١٠٣
(٣) سورة القيامة الآية : ٢٣

وهنا نقف على أن دليل السائل قد اختلف عن دليل المعلل فى مادته وصورته .

وأيضا لو قال المعارض : لو كان العالم حادثا لما كان مستغنيا ، لكنه مستغن ، فليس بحادث .

وعلى هذا يتضح أن الدليلين المستعملين فى المعارضة بالمثل متحدان فى الصورة لأنهما من الشكل الأول دون المادة وذلك لأن المعلل استدل باحتياج العالم إلى مؤثر على كونه حادثا .

والمعارض : استدل باستغناء العالم عن المؤثر على كونه قديما . وأما الدليلان المستعملان فى المعارضة بالغير فإنهما مختلفان فى المادة والصورة معاً .

أما الصورة : فإن دليل المعلل قياس حملى من الشكل الأول وهو العالم محتاج إلى المؤثر .

وكل محتاج إليه حادث فالعالم حادث .

وأما دليل المعارض : فهو قياس استثنائى .

لو كان العالم حادثا لما كان مستغنيا لكنه مستغن فليس بحادث :

وأما اختلافهما فى المادة فظاهر كما تقدم .

وعلى هذا يتضح صدق ماوقفنا عليه بالنسبة لموقف المعلل من المعارضة .

أى أنه للمعلل أن يمنع دليل المعارض وله أن ينقض دليله نقضاً إجماليا وله معارضته بدليل آخر وهذا القول يوقفنا على موضوع هذا الفن وهو البحث حيث يبحث فيه عن كيفياته .[1]

---

(١) راجع الشيخ على الغرابى الرسالة الرشيدية وراجع الشيخ محى الدين عبد الحميد المرجع السابق .

أجزاء البحث وخطواته

أجزاء البحث ثلاثة : المبادىء ، والأوساط والمقاطع :

فالأول : مثل تعيين المدعى . وذلك بتحرير المراد من الدعوى وإظهار الحق من أجزائها أى أن أولى هذه الخطوات هى إدراك المشكلة التى تتطلب بحثا أو حلا أو حكما وهذا الإدراك هو الذى يوجه إلى البحث .

وبذلك يكون الباحث فى بحثه على بصيرة ليس هذا فحسب ولكن ليتوارد النفى والإثبات على شىء واحد . هذا من ناحيه ومن ناحية ثانية فإنه قد يتضح من تحرير موضوع النزاع أن لا خلاف بين المتناظرين فيتفق الرأى ويتوفر الوقت .

ومصداق هذا أننا لو بحثنا فى كثير من الخلافات الطويلة التى وقعت بين المعتزلة والأشاعرة لوجدنا معظمها يرجع إلى تحرير المراد من الدعوى .

وبذلك يتضح لنا أن الخلاف بينهم لفظى ولكن بعد ضياع وقت كبير وجهد كثير هذا بالنسبة للجانب الأول من جوانب البحث .

أما الجزء الثانى : وهو الأوساط :

فالمراد به الحجج والدلائل التى يستدل بها على الدعاوى مطلقا .

والجزء الثالث : فهو المقاطع :

والمراد بها النتائج التى ينتهى عندها الباحث فى بحثه ويشترط فيها أن تكون ضرورية أو مسلمة من الخصم .

وعلى هذا يتضح قوله : ثم البحث ثلاثة أجزاء[١] :

---

(١) راجع الشيخ على الغرابى تحقيقه للمرجع السابقة

— مباد : هى تعين المدعى، وأوساط هى الدلائل ومقاطع هى المقدمات التى ينتهى البحث إليها من الضروريات والظنيات المسلمة عند الخصم.

ومن هنا يسير البحث بين المتخاصمين فى خطوات ثلاث ، تعين المدعى وهو العالم حادث . ويسمى تعين المدعى مباديه.

— ثم الأوساط: وهى الأدلة التى تساق لإثبات المدعى مثل العالم متغير وكل متغير حادث .

— ثم المقاطع : وهى المقدمات التى ينتهى إليها البحث ولا تكون إلا ضرورية أو ظنية مسلمة فالضروريات مثل بطلان الدور والتسلسل ، وإستحالة اجتماع النقيضين وكون العالم حادث وسميت المقاطع بهذا لأن الخصومة بين المتخاصمين تنقطع عندها ولا يصح لأحد المتخاصمين أن يناظر فيها وإلا عد مجادلا أو مكابراً.

وهذا يوقفنا على صدق ما تقدم وأن المقاطع هى المقدمات التى ينتهى البحث إليها من الضروريات والظنيات المسلمة عند الخصم بحيث تشتمل على السمات التالية :

(أ) أن تكون القضية محل البحث مشتملة على الترتيب المنطقى المتسلسل لنقاطه كل جانب وذلك بمعنى تقديم ما يستوجب التقديم وأيضا تأخير ما يستوجب التأخير .

(ب) أن تكون القضية محل البحث مشتملة على التعبير الدقيق والصريح الواضح الذى يفهم منه المراد بدون التواء .

(ح) أن تكون القضية محل البحث كما أسلفنا بعيدة عن الغموض فى التعبير وأيضا البعد عن العبارات التى تنم على المخالفين فى الرأى بأسلوب

فيه إسفاف بالخصم لأن ذلك يعني أن صاحبه بعيد عن العلم كما هو بعيد عن الأدب .

وهذا يستلزم الالتزام بالعبارة المهذبة والبعد عن كل ما يجافي الحقيقة كما علمنا الحق تبارك وتعالى أدب المباحثة والمناظرة في قوله تعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»[1] .

وأيضا كما في قوله تعالى «خذ العفو وأعرض عن الجاهلين»[2] .

وقوله لموسى وهارون عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

«إذهبا إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى»[3] .

وقد علم الحق تبارك وتعالى رسوله — ﷺ — وعلمنا من خلاله أن نتمثل لطريق العلم وندعو بزيادته كما في قوله تعالى «وقل رب زدني علما»[4] .

كما يبين لنا الطريق وأن العلم طريقه لا ينفذ فقال تعالى «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا»[5] .

وعلى هذا فمن الغرور أن يتعالى الباحث بما بلغه من العلم . بل لا بد من توظيف العلم بالعمل .

وهذا المعنى يوقفنا على طريق البحث وترتيبه الطبيعي .

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٥
(٢) سورة الأعراف الآية ١٩٩
(٣) سورة طه الآية ٤٤
(٤) سورة طه الآية ١١٤
(٥) سورة الإسراء الآية ٨٥

خط سير البحث وترتيبه الطبيعي :

لبيان طريق البحث وترتيبه الطبيعي ينبغي على المعلل تحرير محل النزاع وتعينه كما يبين فيما تقدم ، فإذا لم يبين ذلك من تلقاء نفسه ولم يكن معلوما عند السائل فعليه أن يطالب المعلل بالنقاط التالية :

أولا : تحرير موضع النزاع .

ثانيا : بيان معنى الألفاظ الغريبة المستعملة .

ثالثا : تصحيح النقل إذا كان المعلل ناقلها .

رابعا : بيان كون التعريف جامعاً مانعاً فيما يعرفه وإنما وجب على السائل أن يطالب المعلل بهذه النقاط لأنه لا سبيل للوصول إلى الحق إلا بالوقوف على تلك الركائز في القضية محل البحث .

فلو لم يطلب السائل ذلك من المعلل لم يكن مناظرا هذا في حالة عدم علمه ، أما إن كان أمر من هذه الأمور والركائز السابقة معلوما للسائل فلا يصح أن يطلبه من المعلل وذلك لأن الطلب مع العلم مكابرة أو مجادلة كما يبين فيما سبق .

كما أنه لا يجوز للسائل الاعتراض على المعلل قبل إتمام بيانه للقضية محل المناظرة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فلا يجوز للسائل أيضا أن يطلب من الناقل الاستدلال على ما نقله إلا إذا تعرض لإثبات ما نقله ، هذا بالنسبة للسائل .

ثم يجب على المعلل بعد ذلك إثبات دعواه بالدليل إن كان المدعى مجهولا نظريا أو بالتنبيه إن كان المدعى بديهيا خفيا .

وعلى هذا فإن سلم السائل بما أورده المعلل من الاثبات للقضية محل المناظرة انقطع البحث وإن لم يسلم السائل بالدليل فله ثلاث وظائف :

١ — المنع : وهو أن يطلب الدليل على مقدمة معينة من مقدمات الدليل الذى أورده المعلل سواء كان المنع مجردا أو مع السند كأن يقول الحكيم للمتكلم : أمنع أن كل متغير حادث أى اطلب عليها الدليل سواء كان ذلك المنع بسند كأن يقول : لم لا يجوز أن يكون بعض المتغير قديماً .

فيجيب المعلل بإبطال السند إذا أفاد إبطاله إثبات المقدمة وذلك بأن يلزم من بطلانه ثبوت المقدمة .

٢ — النقض الاجمالى : وهو أن يبين فساد الدليل بأحد الوجهين السابقين من دعوى التخلف أى تخلف المدلول عن الدليل وذلك بأن يوجد الدليل ولا يوجد المدلول .

وإما لزوم المحال كاجتماع النقيضين مثلا .

٣ — المعارضة : وذلك بأن يقيم دليلا على خلاف المدعى بإحدى المعارضات السالفة والتى هى :

(أ) المعارضة بالقلب .

(ب) المعارضة بالمثل .

(ح) المعارضة بالغير .

وتكون بالقلب عند اتحاد دليل المعلل والسائل مادة وصورة مع اختلاف مدلوليهما .

وتكون بالمثل إذا اتحد مدلوليهما صورة فقط مع اختلاف المدلول أيضا .

— وتكون بالغير إذا اختلف دليل المعلل والسائل صورة ومادة كما وقفنا على ذلك فيما تقدم .

المعلل وموقفه من السائل :

يتضح لنا أن للمعلل أن يجيب على السائل فى المنع بإثبات الممنوع أو يبطل السند المساوى كما يجيب عن النقض بمنع تخلف الحكم عن الدليل فى المادة التى أوردها الناقض أو يمنع لزوم المحال .

وأيضا يجيب المعلل على السائل فى المعارضة بتحرير المراد الذى لا يرد عليه شيء .

وفى حالة النقض والمعارضة يصبح السائل معللا ويكون المعلل سائلا وفى هذه الحالة يصبح للمعلل أخذ وظائف السائل .

وهنا يتضح لنا وظيفة كل من السائل والمعلل كل فى مكانه .

أى أن السائل وظائف عامة إلا أنها قد تنقلب هذه الوظائف من السائل للمعلل فى حالتى النقض والمعارضة وإن كنا قد وقفنا على أن السائل ثلاث وظائف والتى هى :

المنع — والنقض — والمعارضة .

فما الحل إذا اجتمعت له هذه الوظائف الثلاث مرة واحدة ؟

وذلك بمعنى أيهما يكون أحق بالتقديم ؟

أجيب عن هذا بأنه إذا اجتمعت الأنواع الثلاثة فالمنع أحق بالتقديم وذلك لأن المنع طلب الدليل على مقدمة معينة .

وأما النقض والمعارضة فهما إما إبطال دليل المعلل أو إقامة دليل على

خلاف ما أدعاه المعلل، ولما كانت وظيفة السائل الاستفسار لا الاستدلال قلنا : إن المنع الذى فيه استفسار عن مقدمة معينة مقدم على النقض والمعارضة الذين فيهما الاستدلال لا الاستفسار .

وقد ذهب البعض إلى أن النقض أحق بالتقديم على المناقضة — أى المنع — .

وذلك لأن النقض قدح فى صحة الدليل فهو أقوى منها ، والنقض والمناقضة يقدمان على المعارضة لأن كليهما موجه على الدليل بخلاف المعارضة والتى هى موجهة على المدلول .

والرأى الأول هو الأصوب .

وهذا هو ما أشار إليه المصنف بقوله :

وإذا اجتمع المنوع الثلاثة فالمنع أحق بالتقديم لأن فى الآخرين عدول السائل عما هو حقه ، والمعارضة أحق بالتأخير ، لأنها قدح فى صحة الدليل ضمنا .

وقيل بتقديم النقض على المناقضة وهما على المعارضة .

وبذلك تكون قد وقفنا من خلال هذا البيان على ضوابط الفكر الذى يؤهل كل من السائل والمعلل الوقوف على حقيقة المناظرة والتوصل إليها بتبصير كل منهما صاحبه والأخذ بيده فى طريق الاستدلال الصحيح بعصمة الذهن عن الخطأ والضلال .

وفوق ما فى هذا تميز الحق من الباطل فإنه يعمل على دفع ضرر الملحدين بهدم الباطل ونصرة الحق .

---

(١) راجع الشيخ على الغرابى شرح الرسالة الرشيدية

منهج البحث فى العقيدة

ومنهج البحث فى العقيدة كنموذج ينبغى أن يتناول النقاط الآتية :

التعريف بالعقيدة : العقيدة من عقد بمعنى شد .

والعقد : العهد فكأنما العقيدة هى العهد المشدود والعروة الوثق وذلك لاستقرارها فى القلب ورسوخها فى الأعماق والاعتقاد مصدر أعتقد كذا إذا اتخذه عقيدة له بمعنى عقد عليه القلب ودان لله به وأصله من عقد الحبل ثم استعمل فى الاحكام والاعتقاد الجازم .

والعقيدة : هى ما يجب شرعاً اعتقاده والتصديق به تصديقا جازماً لا يقبل الشك والانفكاك وذلك بمعنى أن العقيدة مأخوذة من العقد وهو الجمع بين أطراف الشىء ويستعمل ذلك فى المحسات كعقد البناء ثم يستعار للمعانى نحو عقد البيع والعهد وغيرهما .

كأنه ربط بين جزاء التصرف أى الإيجاب والقبول بعضها ببعض .

وذلك بمعنى الارتباط الوثيق والالتزام القوى حسيا كان أو معنوياً، ومن هنا ندرك المعنى الذى يربط بين مايؤمن به الإنسان وبراه عن اقتناع قلبى أكيد وبين معنى العقد[1]

فالعقيدة هى : المعتقد النفسى الذى تطمئن إليه النفس ويمتلىء به القلب وعلى ذلك تكون العقيدة متفقه مع جوهر الدين وقد تكون مناقضة

---

(١) دكتور سامى حجازى الدين وبناء المجتمع ص ١٢ بحث مقبول النشر بمجلة الأزهر

له ، إلا أنها تملأ القلب وتلفظ ما عداها ، وتوجه حياة الإنسان فى طريق معين يتفق معها، فتجعل الإنسان يتصرف ويتحدث ويعاشر ويقاطع ويحب ويكره انطلاقاً مما تمليه عليه هذه العقيدة أى أنه من منطلق العقيدة يكون الخلق والسلوك .

لأن العقيدة التى يدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها ويلتزم طريقها[1] .

أصول العقيدة

١ — الإيمان بالله تعالى : أى التصديق بأنه واحد فى ربوبيته وألوهيته وأفعاله وصفاته فهو الرب وحده وهو المعبود وحده ولا يشبه أحداً فى صفاته وأفعاله ولا يشبهه أحد[2] .

قال تعالى « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

وقال تعالى « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »[3] .

٢ — الإيمان بالملائكة : وأنهم عباد الله المكرمون وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

٣ — الإيمان بالرسل : وأنهم صفوة الخلق والمبلغون عن الله آياته وأحكامه وشرائعه .

---

(١) راجع دكتور سامى حجازى العلاقة بين العقيدة والأخلاق فى الإسلام رسالة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة

(٢) سورة الإخلاص الآية ٤

(٣) سورة الشورى الآية ١١

٤ — الإيمان بالكتب : وأنها رسالات الله وكلامه المتضمن أوامره ونواهيه .

٥ — الإيمان باليوم الآخر : وأنه اليوم الذى تبدأ فيه الحياة الآخرة الباقية ليثيب فيه المطيع ويعاقب فيه العاصى .

٦ — الإيمان بالقضاء والقدر : وهو الاعتقاد بأن ما يقع فى هذا الوجود يجرى بتقدير الله وحكمته ومشيئته .

وهذا يوقفنا على أهمية العقيدة وعلى ضوء ما سبق نستطيع أن نشير إلى أهمية العقيدة فى النقاط التالية :

١ — العقيدة ضرورة ملحة للحياة الطيبة فهى التى توجه إلى الوجهة الصحيحة .

٢ — العقيدة هى القوة الدافعة والمحركة إلى العمل الصالح .

٣ — العقيدة أساس هذا الدين وإن صلح الأصل صلحت فروعه .

٤ — العقيدة هى الدافع إلى الإيمان لأنها تصديق لا يحتمل الشك .

٥ — العقيدة هى السبيل إلى العزة والقوة لأنها تستمد من الله القوى العزيز .

٦ — وهى السبيل إلى الطمأنينة لأنها حياة القلب .

٧ — وهى السبيل إلى تصحيح الأفكار ومطاردة الأوهام والخرافات .

٨ — وهى السبيل إلى السعادة الحقة فى الدنيا والآخرة

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن دوائر بناء الإسلام فى ذات المسلم تقوم على :

١ — العقيدة .

٢ — الشريعة .

٣ — الأخلاق والسلوك .

وهذه الدوائر الثلاثة ترتبط بعضها ببعض ويشد بعضها إلى بعض شدا قويا وذلك بمعنى أولها لثانيها وثانيها لثالثها بمثابة المقدمات للنتائج .

فالعقيدة أصل يدفع إلى الشريعة ، والشريعة تلبيـة لانفعال القلب بالعقيدة والأخلاق ثمرة هـذا البناء فى ذات المسلم وعلى ضوء هـذا نلمح الفرق بين الشريعة والعقيدة .

فالعقيدة كما قلنا هى أصل الدين والشريعة فروعه التى تنتظم بها الحياة ، وقد يعبر عن العقيدة بالإيمان والشريعة بالعمل ومع ذلك فالعلاقة بينهما كما تبين فيما سبق علاقة قوية ، والعقيدة أساس الشريعة فالإيمـان بلا عمل لا يصح والعمل بلا عقيـدة لا يفيد[1] .

قواعد العقيدة :

تنبنى العقيدة الصحيحة على أسس وقواعد يمكن إجمالها فيما يلى :

١ — تقديم الشرع على العقل .

٢ — عدم تأويل النقل .

٣ — إتباع طريقة القرآن الكريم فى الاستدلال .

ويتمثل الشرع فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والاقتداء بالصحابة رضى الله عنهم لأن الوحى نزل بين أظهرهم، فهم أعلم بالكتاب والسنة من غيرهم .

---

(١) راجع المرجع السابق .

والشرع هو الأسلم والأعلم ولهذا يجب تقديمه لأنه الكامل .

أما العقل فناقص لأنه لا يستقل بإدراك الأحكام وهو بذلك مفتقر إلى الشرع فلا يتقدم عليه .

ويجب التنبيه إلى أن العقل لا يتناقض مع النقل بشرط أن يكون العقل صريحاً والنقل صحيحاً .

وحينئذ فالعقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح وعلى هذا كان رفض التأويل أى رفض التأويل الفاسد الذى هو صرف اللفظ عن المعنى الحقيقى إلى المعنى المجازى .

أما التأويل الصحيح الذى هو بمعنى التفسير أو المرجع فلا بأس به والواجب ألا يعارض القرآن والسنة برأى أحد كائنا ما كان .

والقاعدة : يمكن حصرها فى عدم التأويل والتعطيل والتشبيه والتمثيل والآية الكريمة « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »[1] .

يستفاد منها أن التمسك بالنصوص وعدم تأويلها لا يؤدى إلى التشبيه أو تمثيل وكذلك التمسك بالنصوص لا يوقع فى التشبيه والتمثيل لأن الله تعالى أحق بالتنزيه ولا ينزه الله تعالى مثل نفسه ولا ينزهه أحد مثل رسول الله ﷺ .

كيفية طريقة القرآن الكريم فى الاستدلال :

وأما طريقة القرآن الكريم فى الاستدلال على أمور العقيدة فهى الطريقة المثلى لأن أدلته إلزامية لثبوت الإعجاز لها من جهة ، ولسلامتها من الإختلاف والتناقض من جهة أخرى.

(١) سورة الشورى الآية ١١

ومن هنا لجميع أدلته أيضا قطعية فى ثبوتها لأنها وردت بطريقة يستحيل فيها الكذب .

والمراد بأدلة القرآن الكريم هنا الأدلة العقلية التى يرد بها على الخصوم ويقرر بها القواعد الاعتقادية كالإلهيات والسمعيات والنبوات.

وفى طريقة القرآن الكريم إفحام للمعاندين وإلزام للمنكرين ، وإرشاد للمترددين وهدى للمتقين .

منهج القرآن الكريم فى إثبات العقيدة

لقد اتضح أن النقل لا يتعارض مع العقل مادام النقل صحيحا والعقل صريحا.

ولقد جاء القرآن الكريم وأرسى قواعد البحث وأصول التفكير، حرر العقل من رواسب التقليد، وعادات البيئة وفرق بين الإيمان والمعرفة.

فالأول محله القلب والثانى محله العقل، ولذا فقه المتدينون فى الصدر الأول النص الدينى وخاصة فيما يتعلق بأمور العقيدة بقلوبهم قبل إدراكه بمقاييس العقل ولذى نعى على اتباع الظن والهوى وأرشد إلى العناية بحواس الإنسان والعناية بها وحسن استخدامها، وأمر بالبحث فى ظواهر الكون ونواميس الطبيعة، ولفت النظر إلى القوانين الاجتماعية وأحصى الجدل الذى دار على عهد النبوة، وفصل الشبهات ورد على المعترضين بالدليل والبرهان المبين.

وذلك لأن القرآن الكريم ليس كتاباً فى العقائد، على نمط الكتب التى تعالج مسائلها بأساليبها المختلفة ولكنه قبل كل شىء كتاب هداية وإرشاد ومع هذا فقد احتوى فى المقام الأول على كثير من آيات العقائد وعالج قضاياها بمنهجه الخـــاص، وذلك بمعنى أنه لا يسوق القضايا التى يعالجها نفيا أو إثباتا سوقا مجرداً، بل كثيراً ما يشتق أدلته على الدعوى من الواقع الحس سواء كان هذا الواقع فى ظواهر الطبيعة أو فى باطن النفس والشعور أو كامن فى قضايا الفطرة والعقل المستنير التى لا يمكن أن يحيد عنها.

ولذلك ورد فى القرآن الكريم على وجوه مختلفة :

الأول : معارضة سيدنا نوح مع قومه كما فى قول الحق تبارك وتعالى « يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين(١) .

الثانى : مجادلة أهل العدوان ، كما فى قول الحق تبارك وتعالى : « أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إنى معكم من المنتظرين(٢) .

الثالث : جدال سيدنا إبراهيم والملائكة فى باب قوم لوط كما فى قول الحق تبارك وتعالى : « يجادلنا فى قوم لوط(٣) .

الرابع : جدال صناديد قريش فى إثبات إله العالمين كما فى قول الله تبارك وتعالى :

« وهم يجادلون فى الله »(٤) ، وجدال الكفار فى باب القرآن الكريم كما فى قول الله تبارك وتعالى : « إن الذين يجادلون فى آيات الله »(٥) .

وجدال المنكرين فى إنكار الحجة والبرهان بالشبهة والبطلان كما فى قول الله تبارك وتعالى : « وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق »(٦) .

وجدال النبى — ﷺ — فى باب الخائنين من المنافقين ، كما فى قول

---

(١) سورة هود الآية ٣٢
(٢) سورة الأعراف الآية ٧١
(٣) سورة هود الآية ٧٤
(٤) سورة الرعد الآية ١٣
(٥) سورة غافر الآية ٥٦
(٦) سورة غافر الآية ٥

الله تبارك وتعالى: «ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما»[1] .

وجدال الصحابة حقهم كما في قول الله تبارك وتعالى: «ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا»[2].

وجدال النبي — ﷺ — أهل الكتاب باللطف الإحسان كما في قول الحق تبارك وتعالى: «وجادلهم بالتي هي أحسن»[3].

وجدال الصحابة إياهم كما في قول الله تبارك وتعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن»[4] .

وجدال بمعنى الخصومة بين الحجاج كما في قول الله تعالى: «الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب»[5] .

وجدال عبد الله ابن الزبعرى القرشي السهمي الذي أسلم عام الفتح وما جاء في شأنه في حق عيسى وعزير والأصنام كما في قول الله تبارك وتعالى: «ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون»[6] .

وجدال موجود في جبلة الإنسان .

---

(١) سورة النساء الآية ١٠٧
(٢) سورة النساء الآية ١٠٩
(٣) سورة النحل الآية ١٢٥
(٤) سورة العنكبوت الآية ٤٦
(٥) سورة البقرة الآية ١٩٧
(٦) سورة الزخرف الآية ٥٨

كما في قول الله تبارك وتعالى: «ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا»[1].

ولذا جاء القرآن الكريم بأنواع الحجج والبراهين كما قال السيوطي «لقد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة وما من برهان ودلالة ... إلا وكتاب الله قد نطق به»[2] ولذا يمكن تلخيص هذه الوجوه السالفة فيما يلي:

أولا: ما رد الله به على الخصوم من الحجج والبراهين وما ساقه من الأدلة لتثبيت العقائد وتقرير قواعد الملة مما جاء على ألسنة رسله وأنبيائه وما ألهم الله به عباده الصالحين من قول الحق ودفع الباطل وهذا جدل بالحق بل هو أمر ضروري لتبليغ رسالة الله إلى أهل الأرض ودفع ما يعتورها من شبهات، وما يقف في طريقها من عقبات، وكشف ما يحاك ضدها من مؤامرات، وما يدبر لها من كيد وضلال وهذا النوع من الجدل القرآني وإن كان فيه معنى الإلزام والإفحام إلا أنه مشتمل على التوجيه والإرشاد إلى طريق الحق والصواب.

ثانيا: ما ورد في القرآن الكريم بطريق الحوار، والقصد منه الاسترشاد وحب الاستطلاع والنظر للعظة والاعتبار أو الترجي والدعاء ومن هذا القبيل جدل سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث قال «رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي»[3].

---

(١) سورة الكهف الآية ٥٤

(٢) كتاب الاتقان للإمام السيوطي جـ ٤ ص ٥٢ ط ١٩٦٧م وراجع رسالة مناهج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر الألمعي.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٠

ثالثا : ما أبلغنا به القرآن على ألسنة الكفار من الاعتراضات والشبه والدعاوى الباطلة التى حكاها القرآن الكريم وبين بطلانها وما تنطوى عليه من مفاسد وهذا يدخل تحت جانب الجدل بالباطل كما قال الله تعالى: «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق»(١) .

— ومن هنا اتخذ القرآن الكريم فى تقرير العقائد منهجا يقوم على التكامل الشامل وذلك بتقدير ما ينبغى أن يكون ونفى مالا ينبغى أن يكون .

كما دعا القرآن الكريم إلى التعقل والتدبر مسايرا بذلك طبيعة الإنسان الذى كرمه بنعمة الإدراك ولذا كان خطاب الله تعالى لبنى البشر بما يتسق وطبيعتهم البشرية إذ من غير المعقول أن يطلب الحق تبارك وتعالى منهم إلغاء النعمة الكبرى التى أعطاهم إياها وهى نعمة العقل .

وإن كان بعض رجال الأديان السابقة قد فصلوا بين الدين والعقل فصلا تاما ، فإنهم بذلك قد خالفوا طبيعة الأديان من حيث هى أديان وأيضا طبيعة الإنسان من حيث هو إنسان .

ولكن القرآن الكريم خاطب الإنسان على مقتضى طبيعته ومن الجهة التى هو بها إنسان وليست هذه دعوى بدون دليل بل هذا واضح فى كل آيات القرآن الكريم — لقوم يعقلون — لقوم يتذكرون ....

وهذا ما قرره العقاد بقوله فى كتب الأديان الأخرى إشارات صريحة أو مضمونه إلى العقل أو إلى التمييز ولكنها تأتى عرضا غير مقصودة وقد يلمح فيها القارىء بعض الأحايين شيئا من الزراية بالعقل أو التحذير منه ، لأنه مزلة العقائد ....

---

(١) سورة غافر الآية ٥

ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ولا تأتي الإشارة إليه عارضة مقتضبة في سياق الآية بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة وجازمة[1] .

وهكذا جاء القرآن الكريم فانتهج بالدين منهجا متكاملا وجديدا في نفس الوقت لم يعرفه أتباع الديانات السابقة وتآخى العقل والدين لأول مرة[2] . في هذا الكتاب المقدس الذي دفع من قيمة العقل حتى ذكره في أكثر من أربعين موضعا مقرونا بالتبجيل والتكريم[3] .

وإذا كان القرآن الكريم قد جعل العقل هو الأساس فإنه لم يتركه هكذا وإنما وضع له منهجا واضحا يضمن له الوصول إلى نتائج يقينية يستنبطها من يدرك أصول المنهج العقلي في القرآن الكريم .

---

(١) الأستاذ عباس العقاد ، التفكير فريضة إسلامية ص٧ ط بيروت ١٩٧١م .

(٢) الشيخ محمد عبده ، رسالة التوحيد ص٦ ط المطبعة الأميرية بمصر ١٣٢٤ هـ .

(٣) الشيخ حسن البنا .. الله في العقيدة الإسلامية ص١٢ ط القاهرة ١٩٧٧م

فلقد وضع القرآن الكريم للمنهج العقلي جانبين :

الأول : يتمثل فى الهدم .

الثانى : يتمثل فى البناء .

أما الأول فيتلخص فى أن النصوص القرآنية قامت على تفريغ العقل وتحريره من كل المقررات السابقة التى لم تقم على اليقين أو التى قامت على مجرد التقليد أو الظن أو الهوى ...

وأما الجانب الثانى : جانب البناء فيوضح فيه القرآن الكريم الأصول والقواعد التى تضمن للعقل الوصول إلى نتائج سليمة وتمكنه من تمحيص كل ما يرد عليه من فروض أو قضايا .

ومجمل القول أن القرآن الكريم اتخذ فى تقرير العقائد منهجا واحدا ذا شقين أحدهما لهدم العقائد المتوارثة التى أضحت فى عالم المعتقد لا غذاء فيها للقلب والروح وثانيهما لبناء العقيـــدة الصحيحة التى تملأ جوانب النفس البشرية بالإيمان الصحيح .

فأما الوجه الأول : فقد استعمل القرآن الكريم فيه منهج الجدل ضد أصحاب العقائد الفاسدة فناقش المشركين عبدة الأصنام والصابئة عبدة الكواكب والمجوس الذين يقولون بإلهين أحدهما النور والآخر الظلمة .

كما ناقش أصحاب الكتب السماوية كى يظهر ما أضمروا عليه من الإنحراف عن الدين الحق والعقيدة الصحيحة والفطرة المستقيمة وقد جمع القرآن الكريم ذلك فى قول الله تبارك وتعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ، إن الله

يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد »(١) .

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم وهو يصور عقيدة هذه الطوائف كان يعقب على معتقد كل طائفة بدليـــل صحتها أو خطئها ففى الآية التى ذكرناها يصدرها الحق تبارك وتعالى بتعداد الطوائف ، ثم يذكر فى عجزها قوله تعالى :

« إن الله يفصل بينهم يوم القيامة »(٢) .

وفى هذا دلالة ضمنية على أن هؤلاء جميعا ليسوا سواء فى المعتقد وأن الحق متعين فى إحدى هذه الطوائف وهى طائفة المؤمنين .

هذا إذا جعلنا الفصل بينهم موجها إلى جميع الطوائف بما فيها طائفة المؤمنين ، أما إذا جعلناه موجها إلى الطوائف سواها ، فيكون الفصل بينهم يوم القيامة قائما على عدم صحة معتقد كل طائفة منها وإن ظن أصحابها أنهم جميعا على الحق .

ثم ترى القرآن الكريم يعقب تفصيلا على عقيدة كل طائفة فيصف قول أصحاب الدهر بالظن .

وهذا ليس بعده إثم فى مقام العقيدة وأن مذهبهم لم يقم على أساس علمى مقرر :

« وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون »(٣) .

ثم يدلل على خطأ الذين ينكرون البعث بقياس الإعادة على النشأة الأولى .

---

(٢١١) سورة الحج الآية ١٧

(٣) سورة الجاثية الآية ٢٤

« قل يحيها الذى أنشأها أول مرة »[1] وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه »[2] .

ثم يختم البيان الكامل بقوله فى سورة الزمر :

« إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار »[3] .

وهكذا وعلى ضوء هذا يتضح لنا أن القرآن الكريم كان يورد فى مناقضة الخصوم فى عقائدهم الفاسدة أدلة فسادها بحيث لا يستطيع العقل السليم والفطرة المستقيمة إلا التسليم والإذعان لهذه الأدلة .

وهنا حقيقة ينبغى الإشارة إليها وهى أن القرآن الكريم وهو يجادل المخالفين كان لا يعد فى حبل هذا الجدل لأنه يقوم أساساً على الخصومة فى الأداء كما هى لدى أصحاب العقائد الفاسدة .

ولذا نرى الحق سبحانه وتعالى يخاطب الرسول ﷺ بقوله « وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون »[4] .

هذا فى موضع وفى موضع آخر يوجه الرسول ﷺ — إلى الجدل بالتى هى أحسن بقوله :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن أن ربك هو أعلم بمن عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين[5] .

---

(١) سورة يس الآية ٧٩
(٢) سورة الروم الآية ٢٧
(٣) سورة الزمر الآية ٣
(٤) سورة الحج الآية ٦٩
(٥) سورة النحل الآية ١٢٥

وهذا يوقفنا على تجلية ما تقدم فى جانب الهدم بتفريغ العقل من كل المقررات السابقة التى لم تقم على اليقين أو التى قامت على مجرد التقليد أو الظن والهوى .

وأما الجانب الآخر من الوجهين اللذين أشرنا إليهما فيما سبق وهما اللذان يمثلان منهج القرآن فى تصحيح العقيدة وتقريرها هو الجانب البنائى الذى يقوم على إرساء قواعد الاعتقاد الصحيح بعد تقويض الزائف من العقائد الفاسدة الموروثة .

وعلى هذا ندرك منهج القرآن الكريم فى جانبه الإيجابى فى النقاط التالية :

أولا : أن القرآن الكريم وجه عقول بنى البشر إلى البرهنة وخصوصا وهو يخاطب أصحاب العقائد الفاسدة كما فى قول الله تبارك وتعالى :

«قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون»[1] .

أى هل لديكم علم يقينى وبرهانى على صدق دعواكم كما قال تعالى «قل هاتوا برهانكم»[2] .

وهكذا تتوالى الآيات فى الدعوة إلى طلب البرهان فى الآيات المتعددة كما فى قوله تبارك وتعالى :

«ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه»[3].

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٨
(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٤
(٣) سورة المؤمنون الآية ١١٧

وهكذا لم يتوقف القرآن الكريم في الدعوة إلى التفكير القائم على النظر والإدراك والمبنى على العلم بعيداً عن الأوهام والظن والإيهام وليست هذه دعوى بدون دليل كما هو واضح من السياق السابق وكما في قوله تعالى :

«ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »[1] .

وأيضا كما في قوله تعالى :

«إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا »[2] .

وقوله تعالى « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى »[3] .

وهذه الركائز البرهانية توقفنا على قيمة المنهج الإيماني في الاستدلال بين العقلية الإسلامية المؤمنة والعقليات الأخرى الملحدة والبعيدة عن روح الفطرة والدين بطمس منهجات الفطرة والدين .

ثانيا : إن المنهج القرآني يقوم في الاستدلال على الاتساق في الفكر وحذر صراحة من الوقوع في التناقض .

قال تعالى « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »[4] .

والمقصود بالاختلاف هنا كما يبين ذلك المفسرون هو التناقض وهو الذي وصف الله به كلام الكافرين في قوله تعالى :

---

(١) سورة الإسراء الآية ٣٦

(٢) « النجم « ٢٨ .

(٣) « « « ٢٣

(٤) سورة النساء الآية ٨٢

« إنكم لفي قول مختلف »[1].

ومن هنا كان وصف الحق تبارك وتعالى القرآن الكريم بقوله « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني »[2].

والمراد بالتشابه هنا التناسق والتصادق والائتلاف وضده الاختلاف الذي هو التناقض والتعارض[3].

وعلى ضوء هذا فقد نفى القرآن الكريم عن نفسه التناقض وفي نفس الوقت وصف كلام الكافرين بالباطل والتناقض وما ذلك إلا لأنه يوجه الأنظار إلى أصول التفكير الصحيح الموائم للفطرة الإسلامية.

ثالثاً : كيفية البرهنة في الاستدلال :

لقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من البراهين والأدلة التي تلائم عقول بني البشر بمختلف مستوياتهم وقد سلك القرآن الكريم في عرض قضاياه مسلك البراهين الواضحة.

ففي قضية الوجود يعرض على العقل البشري ما في الأنفس من عظمة وإبداع كدليل على وجود مبدع خالق ، قال تعالى .

« أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون »[4].

ولذلك نقف على أن القرآن الكريم دعا الإنسان دعوة ملحة

---

(١) راجع الإمام الرازي مفاتيح الغيب جـ ٦ ص ٦١ ، جـ ٧ ص ٦٣ والآية ٨ من سورة الذاريات

(٢) سورة الزمر الآية ٢٣

(٣) راجع ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل جـ ١ ص ٢٧٤ ط ١٩٧١ م .

(٤) سور الطور الآية ٣٥

ومتواصلة إلى مائدة العلم الذى يتناول منه غذائه الكامل والوصول إلى هذه الغاية استعمل كل الوسائل النافعة والملائمة لطبيعته وتكوينه المادى والروحى بتلك الوسائل والأساليب البرهانية .

رابعاً : أن كتاب الله جرت سنته فى نظم آياته البينات على أن يظهر بشكل قوى مشاهد الكون وظواهره وذلك كلما أراد توكيد معنى خلق أو تقرير مبدأ اعتقادى حتى يرتبط الإنسان بالكون الذى هو جزء منه ارتباطا قويا وحتى يمتد بينه وبين العالم من حوله روابط الألفة والمودة التى يؤدى بهما إلى التعارف والتقارب والأخذ والعطاء لخيرى الدنيا والدين .

ومن البراهين الدالة على هذا المنهج فى القرآن الكريم قول الله تعالى: « إن فى اختلاف الليل والنهار وماخلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون »[1] .

وقوله تعالى « هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون »[2] .

خامساً : إن كتاب الله تعالى فى بيانه لم يستعمل من الحجج للدلالة على صدق دعوته وسلامة عقيدته رغم تعدد أنواع الحجج وكثرة أنواعها إلا الحجج المنتزعة من مشاهد الطبيعة ، وظواهر الكون لتصل منها إلى الإيمان بأصول الدين وقواعده التى يبنى عليها .

---

(١) سورة يونس الآية ٦
(٢) سورة يونس الآية ٦٧ وهذا اللون من الآيات والأدلة كثيرا فى القرآن الكريم كما فى سورة الرعد الآيات ٢، ٣ وسورة الحجر الآيات ١٩ — ٣٢

إذا لا طريق لدى الإنسان لفهم أى مدلول إلا إذا تمكن بادىء ذى بدء فهم مضمون الدليل القائم أمام نظره فهما تاما ، ليس ذلك فحسب بل وإدراك وجه دلالته على مدلوله إدراكا عاما وشاملا .

وبهذا علمنا كتاب الله أن العلم طريق إلى المزيد من الإيمان وإن الإيمان وسيلة إلى المزيد من العلم كما نبهنا إلى أن بين العلم والإيمان مزاوجة تكاد تكون علاقة عضوية لا يتخلف عنها أحد الطرفين قال تعالى : « لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[1] .

وقال تعالى فى سورة فاطر « إنما يخشى الله من عباده العلماء »[2] ،

ومن الشواهد الدالة فى الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى قوله تعالى فى سورة النبأ « ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا[3] .

وقوله تعالى فى سورة الفرقان .

« تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا »[4] .

---

(١) سورة غافر الآية ٥٧
(٢) سورة فاطر الآية ٢٨
(٣) سورة النبأ الآية ١١
(٤) سورة الفرقان الآية ٦٢ وأيضا كما فى سورة فاطر الآية ٩ وكما فى سورة ق وكما فى سورة الجاثية .

سادسا : أن كتاب الله تعالى لم يكتف بأن يتخذ من مشاهد الكون ومظاهر الطبيعة حججه المفصلة للاستدلال على دوائر بناء الإسلام فى ذات المسلم بل دفع تلك الظواهر الكونية فى ذلك مكانا عليا حيث استفتح بها عدة سور قرآنية وجعلها موضع قسم ويمن باسم الذات العلية إذ الدلائل السماوية كما قال فخر الدين الرازى أقهر وأبهر والعجائب فيها أكثر وانتقال القلب منها إلى عظمة الله أشد وأكبر .

وعندما نستقرىء كتاب الله بحثا عن الظواهر الكونية التى أقسم بها نجده أقسم :

بالسماء والأرض والسماء ذات الحبك، والسماء ذات البروج .

كما أقسم بالشمس والقمر « والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها » .

كما أقسم بالليل والنهار والشفق « والليل إذا يغشى » .

كما أقسم بالنجم « والنجم إذا هوى » .

كما أقسم بالبحر والرياح والسحاب والعصر والنفس وأيضا بالشفع والوتر .

سابعا : أن كتاب الله تعالى عندما يأخذ فى عرض آياته الكونية لا يعرضها منعزلة بل يعرضها مصحوبة بتنبيه سابق أو تعقيب لاحق ويقدمها للنوع الإنسانى فى أسلوب فريد لا يكاد يفارقها بحال ومعنى ذلك أنها إما أن تأتى مسبوقة بصيغة الأمر بالنظر «أنظروا» أو بما يفيد الحض على النظر « أفلا ينظرون » « أو لم ينظروا » .

وإما أن تأتى متبوعة بالنتائج التى تترتب على النظر من تفكير وتدبر واعتبار .

« فانظروا إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها »(١) .

ثامنا : أن كتاب الله عندما دعا الإنسان إلى النظر في ملكوت السموات والأرض لم يكتف بالنظرة الخاطفة والرؤية العابرة والنظر السطحي بل عرفنا .

أولا : بوسيلة النظر وهي العقل والحواس كما في قوله تعالى :

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »(٢) .

وقوله تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »(٣) .

ثانياً : عرفنا بموضع النظر وهو الكون كله قال تعالى: « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله »(٤) ، وقوله تعالى: « وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون »(٥) وقوله تعالى: « قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »(٦) .

ثالثاً : عرفنا بطريقة النظر وقدم لنا عدة نماذج لبيان ذلك منها :

---

(١) سورة الروم الآية ٥٠
(٢) سورة النحل آية ٧٨
(٣) سورة الإسراء آية ٣٦ وهكذا كما في سورة الملك والأحقاف.
(٤) سورة الأعراف الآية ١٨٥
(٥) سورة الزاريات الآية ٢١
(٦) سورة يونس الآية ١٠١

النموذج الأول : مم خلق ؟ ومن الدلائل على : هذا قوله تعالى :

« فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب »[1] .

النموذج الثاني : كيف خلق ؟

ومن الدلائل على هذا قوله تعالى :

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت »[2] .

وقال تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج »[3] .

النموذج الثالث : كيف بدأ الخلق ؟

ومن الدلائل على هذا قوله تعالى : « أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده »[4] ، وقوله تعالى : « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق »[5] .

النموذج الرابع : كيف تطور الخلق :

ومن الدلائل على هذا قوله فى بيان الأطوار التى تسبق نزول المطر « ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من

(١) سورة الطارق الآية ٧ .
(٢) سورة الغاشية الآية ٢٠
(٣) سورة ق الآية ٦.
(٤) سورة العنكبوت الآية ١٩
(٥) سورة العنكبوت الآية ٢٠ .

يشاء ويصرفه عن من يشاء »[١] .

وقوله تعالى فى وصف أطوار الجنين :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين »[٢] .

وقوله تعالى فى وصف أطوار العمر :

« هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون »[٣] .

وكذلك قوله تعالى: « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير »[٤] .

تاسعاً : عرفنا بالغاية المتوخاه من النظر ألا وهى نفع الإنسانية بالربط بين العلم والإيمان ، ومن الدلائل على هذا قوله تعالى : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة »[٥] .

---

(١) سورة النور الآية ٤٣
(٢) سورة المؤمنون الآية ١٤
(٣) سورة غافر الآية ٦٧
(٤) سورة الروم الآية ٥٤
(٥) سورة لقمان الآية ٢٠

وقوله تعالى: «يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون»[1].

ومن شواهد هذه الغاية في إدراك معرفة الله تبارك وتعالى قوله تعالى: «وأن إلى ربك المنتهى»[2].

عاشراً: أن كتاب الله تعالى عندما دعا الإنسان النظر في شئون نفسه وشئون الكون المحيط به لم يكلفه بما لا يطيق، بل دعاه إلى طريق اليسر وذلك باستخدام الوسائل التي هي في نفسه أي العقل والحواس وذلك بإيقاظ منبهات الفطرة، والتي هي العقل والإرادة والوجدان، كما ندد بمن لا يتنبه إلى ما حوله.

ومن لا يستعمل هذه الوسائل واعتبره في مستوى الأنعام وأشد.

قال تعالى: «لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون»[3].

ولم يقف كتاب الله عند هذا الحد بل دعا الإنسان إلى أن يرفض كل ما لم يقم عليه دليل كما تبين فيما سبق وكما في قوله تعالى: «نبئوني بعلم إن كنتم صادقين»[4].

وقوله تعالى: «وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم»[5].

وقوله تعالى: «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»[6].

---

(١) سورة فاطر الآية ٣
(٢) سورة النجم الآية ٤٢
(٣) سورة الأعراف الآية ١٧٩
(٤) سورة الأنعام الآية ١٤٣
(٥) سورة النور جزء من الآية ١٥
(٦) سورة البقرة الآية ١١١

وقوله تعالى: «وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم»(١) .

وهكذا نقف مع كتاب الله تعالى كلما استعرض ظواهر الكون ومشاهد الطبيعة فى دعوته إلى تنبيه الأذهان التى يندرج تحتها الأسباب والمسببات .

والوسائل والمقاصد والمقدمات والنتائج وفى ذلك تربية للفرد والجماعة على التفكير المنطقى الموائم للفطرة والدين .

الحادى عشر : إن كتاب الله تعالى عندما دعا الإنسان إلى النظر فى نفسه وفى الكون المحيط به لم يدعوه إلى النظر فيما هو خارج عن حدود طاقته لأن ذلك يعد من التكليف بما لا يطاق وإنما دعاه إلى النظر فيما يتأتى له النظر فيه بالوسائل التى هى فى داخل نطاق استعداده وقدرته .

وبذلك فتح القرآن الكريم أمام الإنسان باب العلم وبين فضله وأهميته فى بناء الإيمان .

أما إذا كان الأمر فوق طاقته ولا يتوفر على وسائل معرفته فإنه لا يدعوه إلى النظر فيه أصلا أو يكشف له عن بعض ملامحه بطريق الخبر لا بطريق الفكر والنظر . قال تعالى :

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »(٢) .

الثانى عشر : إن كتاب الله عندما دعا الإنسان إلى النظر فى الكون

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٩
(٢) سورة الإسراء الآية ٨٥

وجه نظره بالخصوص علما وعملا إلى العالم المحيط به والقريب منه الذى ينتمى إليه ويتوقف فى حياته عليه وهو عالم الشهادة الذى جعله الله مختبراً للإنسان يدرب فيه عقله ويمارس فيه نشاطه وآتاه من الاستعدادات والملكات ما يساعده على كشف خفاياه التعرف على حكمة الصانع من خلال مصنوعاته .

وقد وجهنا الحق تبارك وتعالى إلى أن نعى وندرك من الكتاب المقروء والكتاب المنظور قال تعالى :

« بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم »[1] .

هذا بالنسبة للكتاب المسطور الذى أحكمت آياته فى الذكر الحكيم .
وأما فى شأن الكتاب المنظور فقوله تعالى :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »[2] .

وقال تعالى « ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى »[3] .

فالكتاب الأول تنطق آياته بلسان المقال والثانى تنطق آياته بلسان الحال :

الأول : اقتضت حكمة الله أن يكمل ويبلغ حد التمام فأحصى آياته عددا .

الثانى : اقتضت إرادة الله أن يبقى مفتوحا إلى الأبد .

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٩
(٢) سورة فصلت الآية ٥٣
(٣) سورة النجم الآية ١٨

قال تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين »[1] .

وعلى ضوء هذا يمكن إجمالى مزايا المنهج القرآنى فى النقاط التالية :

١ — تقرير القرآن الكريم لمنهج الجدل ردآ لشبهات الخصوم التى كانوا يثيرونها حول عقائد الدين كما أنه لم يعد فى حيل هذا الجدل إلا بالتى هى أحسن حرصا على وحدة الجماعة .

٢ — حذر القرآن الكريم والسنة المطهرة تعقل ما لا مجال لتعقله من أمور العقيدة .

لأن العقل يعجز عن أن يصل فيها إلى حقيقة يقينية فكان ذلك صونا العقل .

٣ — إن طريقة الاستدلال القرآنى اعتمدت على ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بما تشاهد وتحس فهى أقوى من الحجة وأبلغ فى الأثر ، هذا من ناحية وعلى قدر إدراكهم من ناحية أخرى .

٤ — إن القرآن الكريم لم يخضع لقواعد بشرية تخطىء وتصيب بل قواعده ثابتة لا تحتمل إلا الصواب .

٥ — إن استدلالات القرآن الكريم مشتملة على التوجيه والإرشاد والدعوة بالتى هى أحسن وأسلوب اللين والرفق أدعى لقبول الحق .

٦ — إن القرآن الكريم فيه تقرير الحجج الصحيحة وابطال الشبه الفاسدة وقد جادل المعاندين بما يحق ويكفى لكنه كان يورد فى مناقضة الخصوم أدلة فسادها بحيث لا يستطيع العقل السليم والفطرة المستقيمة إلا الاعتراف والإذعان .

---

(١) سورة الواقعة الآية ٨٠

٧ — إن القرآن الكريم خاطب العقل البشرى فى أروع مظاهر القوة والبيان والإقناع .

٨ — إن طريقة القرآن الكريم تتناول الخاصة والعامة كما يرضى العقول ويحرك المشاعر ويمتع الوجدان فى جانبيه الوجدانى والعقلانى وبالسلطان العقلى والمادى .

٩ — إن القرآن الكريم وهو يحاول تقرير العقائد يتخذ منهجا ذا شقين أحدهما الهدم والآخر البناء أى هدم الفاسد وبناء الصحيح .

طريقة القرآن فى إثبات وجود الله :

اتخذ القرآن الكريم طرقا فى إثبات وجود الله تعالى منها :

١ — الدليل الفطرى : وهو الذى يقرر أن الله تعالى موجود وأن ذلك ثابت فى الفطرة والجبلة الإنسانية أى أن الفطرة السليمة تشهد بذلك ما لم تعقها العوائق ، والنصوص القرآنية لم يكن هدفها إثبات وجود الله لأن ذلك ضرورة حتمية .

وإذا انحرفت الفطرة فلا يعنى ذلك عدم الاحساس بوجوده وإنما هى العوائق والظلمات الحائلة بين الفطرة الإنسانية والوجود الإلهى قال تعالى :

« فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله »[1] .

وقوله تعالى: « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله »[2] إلخ الآيات .

---

(١) سورة الروم الآية ٣٠
(٢) سورة الزخرف الآية ٨٧

٢ — دليل الإبداع والاختراع :

وهو الذى يستدل على وجود الله بهذا الكون وما أبدعه فيه من أرض وسماء وسحاب وهواء وحيوان وإنسان وجماد ونبات .. الخ المخلوقات قال تعالى: « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت »[1].

٣ — دليل العناية :

ويتمثل فى ارتباط الكون بعضه ببعض وتسخيره ومنفعته من أجل الإنسان قال تعالى : « وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه »[2] .

وهكذا تكون طريقة القرآن ومنهج القرآن فى إثبات أمور العقيدة من أعظم الطرق وأشد المناهج .

ولو أن الباحثين سلكوا هذا المنهج لاختصروا الطريق على أنفسهم وأقنعوا غيرهم بتصحيح عقائدهم ولأدى علم العقيدة دوره فى تصحيح القلوب من أمراضها وأوهامها وشفى موجات القلق والاضطراب التى تعانى منها البشرية حين فسدت عقائدها فانحرف طريقها وأعوج سلوكها.

وإن العقيدة هى الأساس والأصل وإن طابت فروعه والبناء دائما لا يقوم إلا على أساس ثابت ومستقيم .

وبالالتزام بهذا نستطيع أن نوظف منهج القرآن فى الاستدلال على قضايا الفكر والسلوك الموائم للفطرة وللتوحيد .

---

(١) سورة الغاشية الآية ٢٠.
(٢) سورة الجاثية الآية ١٣

وقبل أن نصل إلى نهاية دراستنا حول ضوابط المعرفة وأصول البحث والمناظرة ينبغي أن نتوقف — قليلا — لنستعيد ونتأمل علاقة الإسلام بالفكر، وذلك لأمور منها :

أولا : أن نجلي موقف القرآن الكريم من هذه القضية التي تكشف عن خاصة من خواصه، وتوضح جانبا من جوانبه التي ينفرد بها على ما سواه من الأيديولوجيات الوضعية والاتجاهات والمذاهب الفلسفية التي تحيط بها الزعازع من كل جانب وتعتصرها الشكوك من جميع نواحيها ...

وإذا كانت هذه القضية هامة في ذاتها فإنها شديدة الأهمية لدراس الفكر والباحث عن أصول البحث والمناظرة على وجه الخصوص .

ثانيا : أن تتهيأ الفرصة للرد على بعض الأحكام التي تتعلق بنشأة البناء الفكري والعقلي لدى المسلمين، حيث يرى بعض الدارسين والمستشرقين على وجه الخصوص — أن هذا البناء العلمي والفكري لم ينشأ نشأة طبيعية بسبب تلك الروح العلمية التي ظهرت بتأثير القرآن الكريم ومذكرته التفصيلية والسنة المطهرة، بل إنها في نظرهم قد تأخرت حتى اكتملت حركة الترجمة، وخاصة في عهد الدولة العباسية، وأن ما ظهر لدى المسلمين من إبداع في دوائر العلم والمعرفة المتعددة لم يكن إلا ثمرة من ثمار حركة الترجمة إلى اللغة العربية .

ثالثا : أن نرد بالحجة على الأحكام التي تتعلق بالإسلام ذاته من حيث علاقته بالفكر من جانب ومن حيث دوره في نشأة العلم عند المسلمين، وهذه محاور متعددة تحتاج إلى بحث منفرد لكننا نشير إليها لنكشف الغطاء عن أوهام المتأوربين ومغالطتهم للفطرة من جانب ولبيان الحق من جانب آخر .

ومن هذه الأحكام ما نجده لدى المفكر الفرنسي رينان الذي وصف الإسلام بالبساطة التي تمثل عقبه أمام تقدم العلم والمعرفة، حتى كان الإسلام — بسبب هــذه البساطة — ملائما للشعوب التي ليست لديها الروح التركيبية القادرة على الإبداع والابتكار ...

وأصحاب هــذا الإتجاه مدفعون إما بالتعصب الديني أو التعصب الجنسي .

الفريق الأول : المدفعون بالتعصب الديني :

ويتزعم هذا الفريق الفيلسوف الألماني «تمان» والفيلسوف الفرنسي «فيكتور كوزان» ويلخص «تمان» موقفه من علاقة الإسلام بالفكر فيقول «العرب شعب مجبول على استعدادات قوية وثابتة وقد كان أولا صافيا ثم استمد حماسة دينية وعربية من دين محمد — ﷺ — لكن عدة عقبات ثبطت تقدمهم في العلم وهذه العقبات كما يراها تمان تتمثل في النقاط التالية :

أولا : كتابهم المقدس الذي يعوق النظر العقلي الحر .

ثانيا : حزب أهل السنة وهو حزب مستمسك بالنصوص .

ثالثا : ما في طبيعتهم القومية من ميل إلى التأثر بالأوهام من أجل ذلك لم يستطيعوا أن يصنعوا أكثر من شرحهم لمذهب أرسطو وتطبيقه على قواعد دينهم الذي يتطلب إيمانا أعمى وكثيرا ما أضعفوا مذهب أرسطو وشوهوه»[1] .

---

(١) فضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٦ ط ١٩٥٩ م .

وإذا ما انتقلنا وجدنا الفيلسوف الفرنسى « فيكتور كوزان » يسير فى نفس الطريق ويتفق مع هذا الرأى وان اختلفت زاوية الرؤية .

الفريق الثانى : أصحاب التعصب الجنسى .

وتزعم هذا الفريق الفيلسوف الفرنسى أرنست رينان حيث يعتمد هوى وأشياعه على الدراسات اللغوية وقد خرج من ذلك بنظريته المعروفة بالجنس الآرى والجنس السامى ونادى بأن الجنس السامى مقضى عليه بالتأخر العقلى غير مؤهل لمجالات الإبداع الفكرى والإبتكار على العكس من الجنس الآرى الذى أعدته الطبيعة بمقومات ذلك ليس هذا فحسب بل ما قاله جوستاف لوبون من أن أحكام القرآن ثابتة لا تتطور ولا تتبدل ، وأن سبب قعود العرب عن النهوض مرة ثانية يرجع إلى أن القرآن دستور سماوى غير قابل للتعديل والتبديل »[1] .

وقد تتبع الشيخ مصطفى عبد الرازق فكرة التمييز بين الساميين والآريين التى نادى بها أصحاب التعصب الدينى وكيف حاول أتباعه إلباس هذا التعصب ثوب العلم ورد الشيخ عليها فى تمهيده »[2] .

ولكن ما زال هناك من لا يستنكف من تبنى هذه الأقوال البعيدة عن الصواب والمجافية للفطرة وأنها من الخواطر التى أملاها التعصب الجنسى والدينى أو هما معاً »[3] .

---

(١) جوستاف لوبون حضارة العرب ص ٣٧٢ ترجمة عادل زعيتر ط ١٩٤٨ م

(٢) الشيخ مصطفى عبد الرازق تمهيد لتاريخ الفلسفة ص ١١ ، ١٦ ط ط ١٩٥٩ م

(٣) دكتور توفيق الطويل أسس الفلسفة ص ٢٨ ط ١٣٢٨ ه

وإذا كان الإسلام لدى هؤلاء وأولئك يقف فى وجه البناء العلمى بسبب بساطته من جانب أو بسبب ثبات أحكامه فيمكن وصف هـذه الآراء بالتحامل القائم على المجادلة والمكابرة بسبب مخالفة الفطرة من ناحية والبعد عن الإنصاف من ناحية آخـر لطمس منبهات الإدراك والتجاهل لكثير من الحقائق الايمانيـة التى وقفنا عليها فى صدر البحث ونذكر بشىء منها لتجلية الحقيقة .

أولا : أن القرآن الكريم تضمن لكثير من الآيات التى تدفع إلى النظر والتفكر والتأمل واعمال العقل والحواس فى تحصيل العلم عن طريق النظر فى الكتاب المقروء والكتاب المنظور ، لاستخلاص العبرة مما فيه من إحكام وعناية وإتقان ، وطالب بالاعتماد على الحجه الواضحة والبرهان اليقنى الذى يطمئن إليه القلب والعقل فى كافة العـلوم الإسلامية التى تستمد أصولها وفروعها من مصادر الإسلام — القرآن الكريم والسنة المطهرة متمثلة فى علوم الغايات وعلوم الأدوات والتى هى الوسائل التى تساعـد على فهم النص القـرآنى وحفظه من التحريف والتوفيق والتلفيق ...

وإذا كان الباحث فى العلوم التجريبية يهتم بتحقيق صحة الفرض العلمى فإن إهتمامه فى العلوم الإسلامية عموماً يكون موجهاً إلى التحقيق من صدق الراوى الذى ينقل عنه خبراً أو صحة الخبر فى نفسه ، ولما كان السماع والرواية هما الطريق المعروف الذى نقل إلينا خلالهما تراثنا الإسلامى فقد كان جهد علمائنا السابقين موجها إلى وضع المعايير الدقيقة التى ينضبط بها الخبر المروى أو المسموع فى نفسه والتى يكون بها الراوى نفسه دقيقاً وأميناً فى نقله للخبر وثقة فيما يرويه .

ولقد دون علماء الحديث هـــذه الضوابط وجعلوها محور القبول للرواية أو رفضها[1] .

ومما ينبغي أن نلفت النظر إليه في هذا المقام أن كثيرا ممن يتناولون الحديث عن الأدلة والبرهان في فكرنا الإسلامي حين يكتبون عن دلالة القرآن والسنة يكتفون بقولهم الدليل من القرآن قال الله تعالى أو قال الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يذكر نص الآية أو الحديث وهذا في حد ذاته كافيا لمن أيقظ منبهات الفطرة وخلا عقله من الشكوك والشبهات ...

أما في مخاطبة غير المسلم أو من يرغب في التزود بالبرهان العقلي فإن ذلك لا يكفي في إقناعه وإنما لا بد أن يضاف إلى ذلك شيء بياني لتوضيح الجانب العقلي في الإلزام بالبرهان وهو التنبيه إلى الأدلة البرهانية المتضمنة في النص المنقول لأن كل دليل نقلي له جانبان :

الأول : وهو دلالته النصية بلفظه ومعناه كما ورد عن النبي المعصوم وهذه الدلالة قطعية الثبوت والدلالة ، متى كان النص صحيحاً .

الثاني : وهو ما يرشدنا إليه النص الصحيح من برهان يقيني قطعي الدلالة على المعنى المراد حيث أشار إليه النص وتضمنه .

ولذا ينبغي مراعاة الجانبين معاً لبناء اليقين في ذات المسلم وما ذاك إلا لأنه ما من قضية عقدية ساقها القرآن الكريم إلا قرنها بدليل صدقها وبرهان يقينها القطعي في دلالته ، ونخص في هذا المقام ما يتصل بقضايا

---

(١) دكتور محمد السيد تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين ص ٦ ط ١٩٩٠ م .

الإيمان بالغيبيات ودلائلها لأن هذا الجانب كان وما زال مثار جدل بين الموحدين والمخالفين[١] ...

ومن هنا نذكر بما تناولناه فيما تقدم وان نسهب كثيرا فى إيراد الشواهد من الآيات الدالة على ذلك .

قال تعالى : أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون[٢] .

وقال تعالى : قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا،إن تتبعون إلاالظن وإن أنتم إلا تخرصون »[٣] .

ومن هنا نهى القرآن الكريم عن أتباع الظن كما تبين فيما تقدم وأنه لا يغنى من الحق شيئا ، كما ذم التقليد بلا بينه ، ووصف الذين يطمسون نعمة العقل والحواس فيماخلقت له بأنهم أدنى درجة من الأنعام قال تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »[١] .

وعلى ضوء هذا البيان أقام القرآن الكريم ما دعا إليه من إستخدام البرهان والدليل على قضايا العقائد الإيمانية التى وردت فى مواطن متعددة مشفوعة بأدلتها ومن شواهد ذلك حديث القرآن الكريم عن حاجة الكون والإنسان إلى موجد يوجدهما وخالق يخلقهما ليس هذا لحسب

---

(١) المرجع السابق بتصرف مع تقديم وتأخير .
(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٤
(٣) سورة الأنعام الآية ١٤٨
(٤) سورة الأعراف الآية ١٧٩

بل ويحفظهما ... والآخذ بأيدهم إلى الحق فيقول : أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون »[1] ؟!!

ومن خلال سطور هذا البيان يتضح أن القرآن الكريم لا يسوق عقائده دون برهان ولا يناقش خصومه دون حجة بل كان يعتمد على البرهان الموصل إلى الطمأنينة واليقين، ولذلك طالب مخالفيه أن يتفكروا فيما جاءهم به الأنبياء والرسل من الهدى للأخذ بأيديهم إلى الحق وتوجيه أنظارهم إلى حقائق الكائنات وما في الكون من عبر حتى تستقر العقول على ساحل السلامة واليقين بعد طوفانها في عوالم الموجودات وحتى لا يصدوا أنفسهم عنادا أو تقليدا وجهالة لأنهم إن فكروا سيعلمون أن ما جاءهم به رسلهم هو الحق قال تعالى « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد »[2].

وإذا كان هذا البيان السابق هو المنهج الذى يتبعه القرآن فى بيان العقائد وفى مجادلة الخصوم فإن هذا هو المنهج الذى يجب أن يتبعه المسلم كما يقول صاحب دراسة الأحكام فى أصول الأحكام « أنه لا يقبل قول أحد إلا بحجة ... وإن من لم يأت على قوله بحجة فهو مبطل بنص حكم الله عز وجل ... وأنه لا يفلح إذا قال قولا لا يقيم على صحتها حجة قاطعة ثم يقول وتلك وجوه الأنصاف الذى هو غاية العدل فى المناظرة »[3].

ومن هذا المنطلق كانت دعوة القرآن الكريم إلى تحقيق أصول

---

(١) سورة الطور الآية ٣٦

(٢) سورة سبأ الآية ٤٦

(٣) الإمام ابن حزم الأحكام فى أصول الأحكام تقديم دكتور إحسان عباس ص ٢٠ ط بيروت الثانية ١٩٨٣ م.

البحث والمناظرة لا كما يقول أصحاب التعصب الدينى أو التعصب الجنسى أو من يقول بقولهم ، ولو أن أحد القائلين بهذه الدعوى السابقة قرأ القرآن بإنصاف وفهم لما وقع فى هذا الخلط القائم على المجادلة والمكابرة بدون دليل حيث إشتمل القرآن الكريم على الآيات التى تلفت الأنظار إلى دوائر المعرفة فى كل جوانبها بالحجة والبرهان متمثلة فى الإنسانيات والإلهيات والكونيات التى نادت بها دوائر المعرفة كما هى فى الآيات القليلة التى إجتزأناها من كتاب الله وجاء العلم الحديث لكى يشرح لنا بعض هذه الآيات .

ففى كل يوم يكشف حقيقة جديدة تثبت هذه العناية وهذا النظام الإلهى فى الكون ، غير أن ما اكتشفه العلم هو أقل بكثير مما لم يستطيع اكتشافه ، فآيات الله فى الكون وبراهينه لا يمكن أن تحصى أو تعد حتى إنه لو قدر لبنى البشر أن تنكشف لهم جميع آيات الله فى الكون ثم جلسوا جميعا لتدوينها وقد تحولت أشجار الأرض إلى أقلام وأنهار العالم إلى حبر ومداد لما استطاعوا ذلك، وهذا مصداق قول الحق تبارك وتعالى « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله »[1] .

وقوله تعالى : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً »[2] .

نعم نحن لا نستطيع أن نحصى آيات الله فى الكون ولكننا فقط نشير إلى بعض آياته التى إشتملت على المنطلقات الفكرية التى تمثل المنهج والطريق للإنسان الباحث عن ضوابط وأصول البحث والمناظرة التى

(١) سورة لقمان الآية ٢٧
(٢) سورة الكهف الآية ١٠٩

يجمعها القرآن الكريم حاملة للأدلة والبراهين التى تلائم عقول بنى البشر بمختلف مستوياتهم فى الفهم والإدراك مع تنوع الأدلة التى يسوقها فى المقام الواحد وذلك بلفت إنتباه الإنسان إلى إيقاظ مقومات الفطرة والتى تبعث على إعمال الفكر وتجلية إنسانيات القرآن للإنسان فى كل زمان ومكان .

ــ وقد وقفنا فيما مضى على أن قواعد المناظرة تنحصر فى الوظائف الثلاث المتقدمة والتى هى :

المنع ، والنقض ، والمعارضة :

ــ كما وقفنا على أن المناظرة هى : توجه المتخاصمين فى النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب

وعلى هذا نقف لبيان ما تجرى فيه المناظرة وما لا تجرى فيه.

أولا : ما تجرى فيه المناظرة :

حدد علماء أدب البحث والمناظرة ما تجرى فيه المناظرة بناء على البيان السابق فى النقاط التالية :

١ ــ مقدمة الدليل سواء كانت مذكورة صراحة أو ضمنا .

٢ ــ سند المنع لأنه يعتبر كالدليل .

٣ ــ الدليل سواء كان عقليا أو نقليا والتزمه ناقله .

٤ ــ الدعوى الصريحة .

٥ ــ القضية المنقولة سواء كانت خبرا أو إنشاء .

٦ ــ التعريف لأنه يشتمل على نسبة تامة ودعاوى وأدلة ضمنية .

٧ — التقسيم وذلك لأن كل تقسيم مشتمل على نسبة خبرية هي أن هذه أقسام لهذا، أو أن هذا منقسم لتلك الأجزاء أو الأنواع دون غيرها.

ثانيا : ما لا تجرى فيه المناظرة :

لا تقوم المناظرة فى النقاط التالية :

١ — المفرد لأنه لا يحتوى على نسبة خبرية تتوجه عليها المناظرة .
٢ — الإنشاء سواء كان طلبيا أو غير طلبى وهذا فى حالة إدراك النسبة الخبرية التى تضمنها الإنشاء حيث تكون المناظرة على هذه النسب لا على الإنشاء نفسه .

وذلك كما لو وجدت رجلا معتكفا فى المسجد فقلت له لا تعتكف وأنت محدث فهذا الأسلوب وإن كان يحمل سمة الإنشاء بصيغة النهى إلا أنه تضمن هذه النسب التالية :

— أنت محدث ، وأنت معتكف .

— ولا يجوز الاعتكاف للمحدث .

وللخصم أن يمنع إحدى هذه النسب .

٣ — المركب الناقص لأنه لا نسبة فيه توصف بالمطابقة ولا بعدمها نحو غلام زيد ، وإن قام محمد

وبعد بيان هذه الضوابط التى جمعها علماء أدب البحث والمناظرة يزف المصنف وصية يقول فيها :

لا يحسن الاستعجال فى البحث وفى عـــدمه فوائد للجانبين ، ومن الواجب التكلم فى كل كلام بما هو وظيفته فلا يتكلم فى اليقينى بوظائف الظنى ولا بالعكس .

وفي هذه الوصية يوصي المصنف المتعلمين بعدم الاستعجال في البحث قبل الفهم بتمامه وذلك لأن في عدم الاستعجال .

فوائد للجانبين : جانب المعلل وجانب السائل .

أما كون عدم الاستعجال فائدة لجانب المعلل، فلأنه ربما يغير الدليل، أو يزيد عليه شيئا لا يرد عليه شيء أو يحذف شيئا أو يذكر دليل مقدمة نظرية أو تنبيه مقدمة خفية فيسلم كلامه عن مناقضة الخصم .

وأيضا ربما تقتضي المناظرة وسعة في الوقت ولا وسعة في ذلك لفوات أمر مهم ديني أو دنيوي .

وأيضا ربما يقع في البحث تفريبا كلام من علم آخر لا مهارة فيه للمعلل فيظهر جهله بين الناس .

وأما كون عدم الاستعجال في البحث فائدة لجانب السائل فلأنه ربما يخطىء بالاستعجال في البحث فيظهر ضعف بحثه وتهافته .

وقد يذكر بعد ذكر الدليل دليلا على مقدمة نظرية أو تنبيها على مقدمة خفية فلا يحتاج إلى إظهار جهله بعدم العلم .

وربما يؤدي الاستعجال في البحث للفساد وخصوصا في أيامنا لكثرة الجدل والعناد .

وعلى هذا فلا يتعجل السائل المعلل، بل ينتظر عليه إذا ادعى دعوى، حتى يشرح مفرداتها، ويقيم الدليل عليها إذا كانت نظرية، وينبه عليها إن كانت بديهية فيها خفاء .

ثم بعد أن يقيم الدليل لا يتعجل أيضا بل ينتظر عليه حتى يبين مقدمات دليله .

وإذا كان فى دليله مقدمة نظرية تحتاج إلى دليل تركه حتى يقيم عليها دليلا ، أو تنبيها إن كانت خفية .

وبالجملة ينتظر السائل على المعلل حتى يفرغ من تقرير دعوته ليس ذلك فحسب بل ومن تقرير كل مايتعلق بها من الأدلة التى تفيده فى إثباته، حيث كان غرض المناظرين الوصول إلى الحق .

لا جدال ولا مكابرة ، فقد يصلان إلى الحق من غير إطالة الكلام ومن غير ضياع وقت فيما لا يفيد ، والشارح — رحمه الله — يشكو من كثرة العناد فى المناظرة فى زمنه فما باله لو رأى ما فى زماننا من كثرة الجدل حبا فى الجدل لا حبا فى الوصول إلى الحق ويتعنت الجاهل فى قبول الحق وكل واحد يدعى لنفسه العلم دون الآخر والله أعلم بحال الجميع .

وبعد هذا البيان الشامل لبيان قواعد أدب البحث والمناظرة وبيان ما تجرى فيه المناظرة وما لا تجرى فيه نقول كما قال الإمام فخر الدين الرازى ثم ها هنا أمور لابد للمناظر منها :

أولا : قصد كل من السائل والمعلل إظهار الحق كما أشار إلى هذا الإمام الشافعى حيث قال « ما ناظرت أحدا إلا أحببت أن يظهر الله الحق على يد أحدنا .

والثانى : أنه يجب على المناظر أن يحترز عن الاختصار فى الكلام عند المناظرة كيلا يخل بالفهم ، ليس هذا فحسب بل ويحترز عن التطويل لئلا يؤدى إلى الإملال .

والثالث : إنتظار كل منهما الآخر حتى يفرغ من كلامه وهذا ما بينه [حال رسول الله ﷺ — من عتبة بن ربيعة حيث قال ابن ربيعة يا ابن أخى إنك منا حيث علمت من خيارنا حسبا ونسبا وإنك قد أتيت قومك

بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم و كفرت من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال الرسول ﷺ .

قل يا أبا الوليد أسمع .

فقال: يا ابن أخى إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هـــذا الذى يأتيك رئيا من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه من أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى فقال عليه الصلاة والسلام — قد فرغت يا أبا الوليد . قال نعم . قال فاسمع منى فقرأ رسول الله ﷺ أول سورة فصلت .

بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعقلون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون ...

فانظر أيها القارىء كيف استمع الرسول — ﷺ — لخصمه فأحسن الاستماع حتى إذا أتم كلامه بدأ يرد عليه حجته حتى أوقفه على الحق وأبطل كلامه وأفحمه فرجع إلى قومه وقال لهم لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ... وهكذا وضح الحق وعم النور طريق الدعوة الإسلامية .

والرابع : يجب على المناظر أن لا يستعمل الألفاظ الغريبة ولا الجمل المتحملة للمعنيين بها قرينة معينة .

والخامس : تكافؤ المتناظرين أو تقاربهما على الأقل ثقافة وعقلا فلا تناظر بين مثقف ذكى وجاهل غبى :

والسادس : أن يحترز عما لا دخل له فى المقصود ، لئلا يخرج الكلام عن الضبط ولئلا يلزم البعد عن المطلوب .

والسابع : تقابل المتناظرين فى المجلس ليشعر كل منهما باحترام الآخر له وترك الضحك ورفع الصوت بكلام السفهاء أثناء المناظرة لأنها من سمات الجهال التى يسترون بها جهلهم .

والثامن : أن يكون التناظر فى غير مجلس الأمراء وأيضا أن يكون فى غير مجلس النساء .

وبهذه السمات والآداب التى ذكرها فخر الدين الرازى لو تمسك بها العلماء والمفكرون فى مناظراتهم لما عاقوا فى الوصول إلى الحق الذى يجلو أبحاث المناظرة بأحد أمرين :

الأمر الأول : إلزام السائل لكون الأمر وصل إلى بديهى جلى ظاهر أو إلى مسلم عنده .

الأمر الثانى : إفحام المعلل وهو عجـــزه عن إثبات مطلوبه لكونه لم يستطع الإجابة على المنع أو النقض أو المعارضة .

وهذا معنى ما أشار إليه المصنف بقوله ومن الواجب التكلم فى كل كلام بما هو وظيفته فلا يتكلم فى اليقينى بوظائف الظن ولا العكس .

والحمد لله أولا وآخرا وأرجو أن أكون قد وفقت إلى ما أقصد من المثوبة والتيسير لقضايا العلم والمعرفة .

والله الموفق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

دكتور

سامى عفيفى حجازى

المراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانياً : بعض كتب التفسير والحديث.

ثالثاً : المصادر والمؤلفات.

— ابن منظور لسان العرب ط دار المعارف .

— الإمام ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني درء تعارض العقل والنقل — تحقيق محمد رشاد سالم ط ١٩٧١ م .

— الإمام ابن حزم الأحكام في أصول الأحكام ط بيروت ١٩٨٣ م

— أبو زهرة الشيخ محمد — العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم ط مجمع البحوث ١٩٦٩ م .

— أبو زهرة — الوحدة الإسلامية — سلسلة الثقافة الإسلامية ١٩٥٨ م .

— أبو زهرة الشيخ محمد — المجتمع الإنساني في ظل الإسلام — بحث بالمؤتمر الثالث . ط مجمع البحوث .

— أبو زهرة — كتاب الجدل .

— البصرى — الإمام أبو الحسن البصرى — أدب الدنيا والدين . ط الأولى . دار الكتب المصرية .

— الجرجاني — الشريف بن محمد .
كتاب التعريفات — ط الأولى بيروت ١٩٨٣ م .

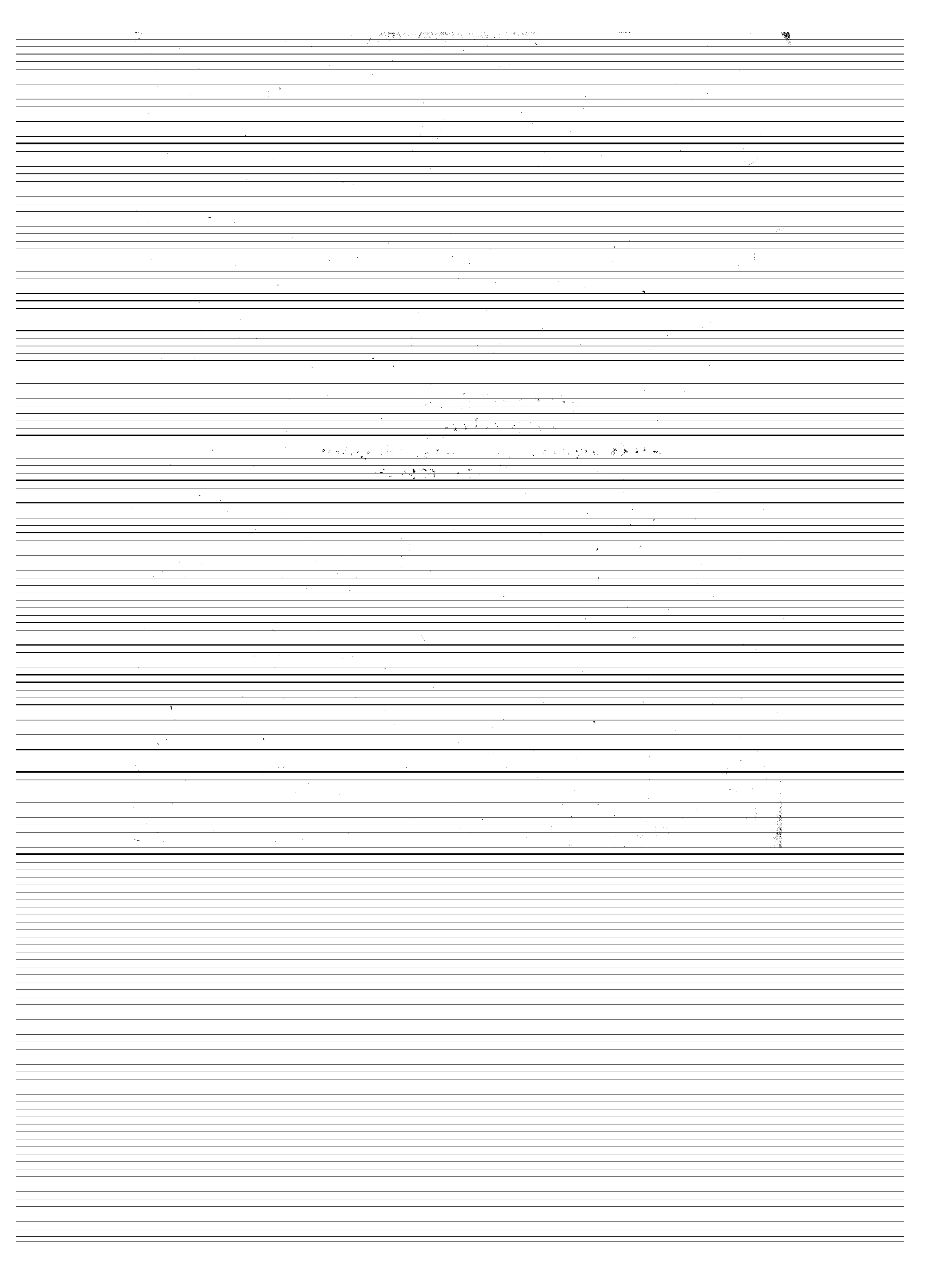
— حسن البنا — الله في العقيدة الإسلامية ط القاهرة ١٩٧٧ م .

— الدكتور سامى عفيفى حجازى .
العلاقة بين العقيدة والأخلاق فى الإسلام .
رسالة بكلية أصول الدين . جامعة الأزهر — القاهرة ١٩٨٣ م .
— سهل بن عبد الله التسترى المعارضة والرد على أهل الفرق وأهل الدعاوى فى الاحوال تحقيق الدكتور محمد كمال جعفر ط ١٩٨٠ م
— الأستاذ عباس محمود العقاد .
الإنسان فى القرآن ط دار الكتاب العربى بيروت ١٩٦٩ م .
— الأستاذ العقاد
التفكير فريضة إسلامية . ط بيروت ١٩٧١ م
— دكتور على جبر محاضرات فى علم الكلام .
— الشيخ عبد الرحمن حسن
ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ط . دار القلم .
بيروت ١٩٧٥ م .
— الشيخ على الغرابى
تحقيق الرسالة الرشيدية على الرسالة الشريفة
— الدكتور عوض الله حجازى المرشد السليم فى المنطق القديم والحديث ط الرابعة ١٩٦٤ م
— الشيخ محى الدين
رسالة مختصرة فى أدب البحث والمناظرة .
— الدكتور محمد شمس الدين إبراهيم
— تيسير القواعد المنطقية شرح للرسالة الشمسية ح ١ ، ح ٢ ط الثالثة ١٩٦٧ م

فهرس محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



رقم الإيداع بدار الكتب
٢٧٠٩ لسنة ١٩٩٦ م
٧ من رمضان ١٤١٦ هـ — ٢٧ من يناير ١٩٩٦ م
I. S. B. N. - 977 - 19 - 0244 - x